أحلام ساخنة

قصص

ⓒ حسين عبدالله الجعفر، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجعفر، حسين عبدالله

أحلام ساخنة. / حسين عبدالله الجعفر، الدمام ١٤٣٤هـ

.. ص ؛.. سم

ردمك : ١ - ١٥٦٣- ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- القصص القصيرة العربية أ. العنوان

ديوي ٨١٣،٠١٩٥٣١ ١٨٩٦ / ١٤٣٤

رقم الإيداع: ١٨٩٦ / ١٤٣٤

ردمك : ١ - ١٥٦٣- ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

AL - KIFAH PUBLISHING HOUSE

دار الكفاح للنشر و التوزيع

General Administration :

Dammam - King Khalid St. - Rabie Area

Tel.: 03 8330507 - Fax : 03 8343633

الإدارة العامة :

الدمام – شارع الملك خالد – حي الربيع

تلفون : ٠٣٨٣٣٠٥٠٧ – فاكس : ٠٣٨٣٤٣٦٣٣

E-mail : publishing@kifahprint.com

تصميم الغلاف والإشراف الفني

مركز الكفاح لخدمات المؤلفين

Text Typesetting :

Al-Kifah Printing Press

Printing Finishing

Al-Kifah Printing Press

الصف الضوئي :

مطابع الكفاح

التنفيذ الطباعي

مطابع الكفاح

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any from or by any means without prior permission in writing of the publisher.

الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة اصدار هذا الكتاب او اي جزء منه، او تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات، او نقله بأي شكل من الاشكال، دون اذن سابق من الناشر.

جميع العبارات والأفكار الواردة بالكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر.

أحلام ساخنة

قصص

حسين عبدالله الجعفر

hahj1403@gmail.com

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا العمل إلى روح والدي رحمه الله تعالى .. وإلى والدتي العزيزة و زوجتي الحبيبة و بناتي .

وإلى الفقراء و المساكين و المظلومين في جميع أنحاء المعمورة

شكر خاص إلى من ساهم في إنجاح هذا العمل

أ. عيسى عبدالكريم العبدالكريم.

أ. إبراهيم عبدالرحمن القاسم.

أ. حسن البطران.

تقديم

#

الحمد لله القائل في سورة الأنعام المباركة من كتابه الكريم: ﴿فاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يتفكَّرون﴾، والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، وصلِّ الله على محمد وآله الطيبين في الأولين والآخرين.

كانت القصة ولا تزال أحد الفنون النثرية لأصحابِ الرسالات والهداة إلى عقول الناس وقلوبهم ، لإيصال ما يريدونه من آراءَ ومعتقداتٍ وأفكار.. وهي أحد عناوين التعريف بحضارات وثقافات الأمم والشعوب. وأيضاً هي وحي الفكر والعقل التي يجب أن تكون رسالةً مُقدّسة.

وحيث لم يُقدَّر للتأريخ أن يختار أشخاصاً (رجالاً ونساءً) ليكونوا رموزاً ومشاهير يُخلِّد أسماءَهم. إلاّ من خلال نتاجُهُم وحضورُهم في الساحات الإيجابية. فإنّ إعمال الفِكْر وإطلاق العِنان للخيال الواقعي - مثل التأليف والكتابة - هو مِن الصور المثالية للمجتمع الإيجابي بشتّى أطيافه وتوجُّهاتِه.

وإنّ ما قرأتُه في رسالية قاصِّنا العزيز من خلال باكورة قلمه والذي سطّرَ مضموناً شيّقاً ناثراً أريج قصصه الوعظية الهادفة للقارئ بإسلوب سلِسٍ لا تكلُّف فيه.

فبرُغم حداثة سِنِّه ، فالثقة بالذات، والتطلع لوعي أفضل، وإدراك حجم المسؤولية الشخصية في نشر الثقافة العامّة، وإثبات أنّ الحصرية هو حاجزٌ وهميٌ لدى البعض،

ورأيت لِزاماً عليّ تشجيع الأفكار المتنوّرة والعزائم الصادقة والملكات الإبداعية التي يتحلّى بها فتياننا وفتياتنا. ومنهم صديقي المحترم حسين عبدالله الجعفر وفّقَه الله.

تشرّفتُ بالنزول لرغبة أخي الكاتب العزيز الذي أشكر ثقته بي لتقديم مجموعته القصصية الأولى ، رغم عدم أهليتي . داعياً له الموفقية لمزيد الإنتاج والعطاء . وأن يكون ذلك دافعاً للآخرين للمحاولة واستخراج الكامن من الطاقات الدفينة فيهم أولاً ، والإسهام في دعم الطاقات الشبابية الكفوءة من خلال إقتناء مثل هذا الكتاب في المكتبة المنزلية ثانياً.

أ.عيسى عبد الكريم العبد الكريم

مقدمه

يعود تاريخ كتابة القصة اقدم من قصة التاريخ وحينما القت (القصة) بذيولها على الحياة الابداعية في الأدب العربي في بداية القرن العشرين كان ذلك على يد الاديب محمود تيمور وقصته (في القطار سنة١٩١٧م) ومخائيل نعيمة وقصته (سنتها جديدة ١٩١٤م).

ثم لحقتها تراجم من القصص الغربية وكان ذلك من قبل كثير من الادباء المصريين وفي مقدمتهم مصطفى لطفي المنفلوطي ويوسف ادريس.

فاخذت القصة مكانتها في الادب العربي من حيث الصياغات التعبيرية والجمالية ودخلت في الجو السحري الذي يلفها من أولها الى اخرها.

وكثيرا ما تستمد (القصة) احداثها من واقع الحياة الذي يعيشه (القاص) او من حياته الشخصية كرواية (الخندق العميق) لسهيل أدريس. ورواية (الخبز الحافي) لمحمد شكري .

و لا ضير في ذلك اذا كان القاص مجيدا للحبكة الادبية والفن القصصي مستحضرا شخوص القصة دون اخلال في سبك القصة وتسلسل احداثها.

فـ(القصة) من الأدب الشفهي كما يعبر عنها كما هي ثالث الأدب (الشعر..الرواية..القصة).

فنجد في قصص(أحلام ساخنة) يسرد القاص قصصه بمنتهى الحرية والاصالة والجمال لما تتمتع بها من لغة أدبية جذابة مستحضرا الخيال

المتفرد في كل قصة، دون استطراد مخل بالقصة مستعرضا الاساليب الخفية في مملكة الفن القصصي.

ان العمل الفني يبلغ ذروته لدى القاص و يحبب للقارىء الاستمرار في قراءة القصة مجنحاً معه في خيال مضطرد كما تسمو القصة عنده بالنمو العاطفي والفكري والاجتماعي.

حيث تتمثل الحالة القصصية عند القاص(حسين الجعفر) على الدمج الواعي بين الرؤية القصصية العميقة ولغة السرد المدهشة .

فتجد العناوين للقصص تمثل عتبات الفن القصصي حيث تجد التلاقي والتناغم النفسي والفني في حالة قصصية ذاتية وفنية جديرة بالتأمل ، لا تعكس صورة نمطية ولا متشابه او تقليدية لأن النسق القصصي لدي القاص متفرد ينطلق من الذات للخارج دون تكلف كما يحمل ابعاداً جمالية وصوراً تنتظم في سلكها الصوري المتشظي لدى القاص في اسس فنية زمانية ومكانية ونفسية واجتماعية متناغمة وليست صورا عبثية او فوضوية متناثرة هنا او هناك لأنها تنطلق من الداخل الى الخارج ومن الخارج الى الداخل لإعادة بناء هيكلية القصة وفق اسلوب قصصي عميق.

فهي مجموعة قصصية تتحرك في فضاء مشهدي مبتكر وحركة سينمائية مستخدمة حضور الذات القصصية وضرورات الزمن والمكان وبذلك يأتي النص القصصي عميقا وملتفاً بجماليات القصة ومتحركاً باتجاه الوعي لدي المتلقى.

محمد الشقاق

اللحظة ... الخائنة

دلف إلى غرفة النوم ... تتشابك خيوط أفكاره في ظلام الليل الدامس و سرب السحاب المتطاير فتتصارع مع الواقع وتتحداه .

على السرير زوجته وقد سبحت في نومها لا حركة لا هواء الظلام يسكن الغرفة الهدوء صامت وكأنها مغارة كاهن .

نظر إليها من بعيد نظرة تتبعها نظرة تحترق النظرات، و الخوف متشبثٌ في تلابيبه

لم يحبها يوماً .. وماذا فيها ليحبها ؟؟؟ منذ زواجهما رأى فيها كل ما هو سيئ بل تحولت كلها إلى سيئة... يا قلبي رحماك من ألمي و شتاتي.

لمّا رآها في النظرة الشرعية الخاطفة لم تعجبه ، فالهوس و الجنون و الاندفاع أجبرته على قبولها فأمّه و أبوه كانا مؤثرين في قراره لم يكن لديه قرار انسلخ من قراراته وأصبح كالشاة المعلقة لا يضرها سلخها بعد ذبحها .

اقترب من السرير يحثو خطواته وكأنه يعدّها يدب بها كدبيب النمل على صخرة ملساء ...رمقها بعينه الحانقة و إذا بها متوجهة ناحية الشمال وكأنها مومياء .

أشرقت علامات الفرح على محياه وكأنه ظفر بجائزة ، زادت فرحته عندما تذكر أن زوجته تجبره لبعض الوقت قبل النوم أن تضع رأسها على صدره الذي تتوزع فيه خصيلات شعره لن تلح في طلبها هذه الليلة.

بدأت زوجته بالاستدارة كما تستدير عقارب الساعة ، هدوء لم يسبقه هدوء وظلام لا يتحرك و أنفاس تشهق وتزفر .

فتح شدقيه و توسعت عيناه وكأنه ينظر إلى وحش ... لماذا تحركت ؟ هل شعرت بوجودي ؟ لا لا إنها بلا شعور بلا إحساس أثناء النوم فهي تنزع كل أحاسيسها إنها تموت الآن لكنها لا تموت.

تسارعت نبضات قلبه ... ماذا سيجري ؟ هل ستستيقظ ؟ أرجوكِ استمري في النوم .

استمرت الزوجة بالاستدارة البطيئة وأصبحت بكاملها على ظهرها.. أحسّ بأنفاسها الحارة تحرقه تكتمه ، حدَجها ببصره تعجباً و استنكاراً و استغرق في التأمل حتى كاد دماغه أن ينفجر في جمجمته ، لكن سرعان ما استعاد الزوج بريقه بعد أن تيقن أنها ساكنة بلا إحساس مقيدة التفكير .

جلس على طرف السرير بهدوء تتبعه السكينة الواجمة لا يسمع فيها أنفاسه، استدار بكل أريحية تامة رفع رجله اليمنى وأتبعها برجله اليسرى .. بدأت أفكاره تتوالد في رأسه و بابتسامته الباردة تذكر أنه قبل أسبوع شاهد إعلاناً في أحد المطاعم لمن يرغب الزواج فليتصل بأبي سامي ، أخذ الإعلان واحتفظ به وكأن الأقدار استجابت لدعواته وجاءت به إلى هذا المطعم فما أجمل أن يكون القدر ملازمك لترى الدنيا بنظرة أخرى فالكثير يلقي باللائمة على القدر ولا يعلم أن استعداده للشيء هو الطريق للوصول إلى هدفه.

تغيرت ملامحه حين تذكر المعاناة التي خاضها و التعب و القسوة والألم وأيّما ألم يصيب الإنسان عندما يفقد قناعته بجزء مهم في

حياته . وكاد أن يفقد الكثير من رجولته وتصبره حيث كلفه البحث عن زوجة تطابق رغباته الكثير من الأموال من أجل أن ينالها ليعيش معها قصة حقيقية من الحب والهوس الجنسي .

بعد أخذ الإعلان اتصل مباشرة بأبي سامي حيث إنه لم يتردد في الاتصال فالجوع و الرغبة المتدفقة هما من يحددان للإنسان ماذا يفعل والابتسامة تغرد على شفتيه طرباً لعله يكون هذا هو الأمل وما أجمل أن يولد الأمل في حياة الإنسان .

أخبر أبا سامي بالمواصفات التي يتمناها في شريكة حياته الجديدة ووعده أبو سامي خيراً وأنهى المكالمة و بعد ما يقارب الساعة اتصل أبو سامي و أخبره أنه توصل إلى امرأة بنفس المواصفات المرغوبة وأنها على استعداد للزواج منه وأن تعيش الحياة السعيدة التي تتمناها ويتمناها وأن يبقى الأمر طي الكتمان وهذا ما زاد من فرحة الزوج .

قبّل الزوج جواله تعبيراً عن فرحته وكأنه وجد ذلك الكنز الذي يبحث عنه وأرهقه البحث المضني لكن اليأس أحياناً يشل حركة الإنسان .

استعد للأمر جيداً ويوم غد سيكون اللقاء مع أبي سامي والذهاب لبيت الخطّابة لرؤية العروس الجديدة ،،، تأمل كثيراً في تلك الأحداث حتى أنسته الرقاد لكن سرعان ما سرح بفكره في عوالم عديدة مرة أخرى وأخذ يطرح السؤال تلو السؤال : كيف سيكون شكلها ؟ ماذا ستلبس ؟ ماذا سأفعل ؟ ما أول كلمة أخاطبها بها؟ نعم نعم ما هو اللبس الذي يجعلني أكثر رجولة ؟ آااه لقد تعبت ولكن سيكون التعب جميلاً أمام كل هذه التحديات إنّ مع العسر يسراً وما بعد الألم سوى الراحة أريد أن أتألم وأزداد ألماً لأشعر بعدها بالراحة فبمقدار الألم تزداد راحتك ،، لا لا لن أتهور وسوف أنظر إليها بتمعن نظرة شرعية

كي لا أقع في ما وقعت فيه في المرة الأولى .

غلبه النوم بعد رحلة التفكير المضنية و انقلب على بطنه ومد يديه تحته وكأنه يبحث عن شيء وعاش مع النوم قصة جديدة .

في الصباح الباكر ومع صياح الديك و تغريدة العصافير قامت الزوجة لتحضير الإفطار .

جلس الزوج من نومه لم يرَ زوجته ابتسم توسع في ابتسامته ازداد طرباً غاص في الطرب يشاطر طموحه ويقطف آماله ، انقلب من جديد على السرير أخذ يمسح مكان زوجته ويلاطفه و يداعبه بلمسات حريرية نابعة من قلبه و هو مغمض العينين ، شدّ الوسادة فحضنها .. تخيّل كيف سيكون شكل زوجته الجديدة ؟ واللقاء المرتقب هذه الليلة وبعد الاطمئنان و الموافقة سيعقد عليها مباشرة دون تأخير فخير البر عاجله .. نعم سأكون معها في أحضان الحب و العشق ... آاااه آاااه من نشوة العشق الذي لا يرحم لا يترك وقتاً يحلق مرفرفاً لا يموت .

انقضّت الزوجة كالأسد المفترس وهي تنظر إلى زوجها و إلى حالته الرومانسية وعلتها علامات الاستغراب و قطبت حاجبيها وركزت يديها على خصريها وكأنها تود الهجوم عليه لتمزقه فهو لا يفعل معها كما يفعل بالوسادة الآن ، وصرخت بصوتها الأجش الصارم حتى انتفض كالدجاجة المذبوحة وارتعشت يداه وقذف بالوسادة من يديه .

– قالت: يبدو أنك تتخيل الوسادة وكأنها أنا ؟ وهي تعرف أن ذلك يستحيل منه.

– قال في ابتسامة خبيثة : أوّاه نعم اشتقت إلى المسح عليك ولم أجدك فاستعنت بالوسادة .

ابتسمت زوجته ابتسامة ممزوجة بالغضب وهي تقول في نفسها: متى سأتخلص منك ؟ أيها الزوج العفن ؟ و خرجت من الغرفة ونادته قائلة الإفطار جاهز وعاودت تقول في نفسها : سم في بطنك إن شاء الله .

تناول إفطاره استعداداً للخروج إلى عمله ، ركب سيارته وقبل الوصول إلى عمله ببضع دقائق جاءه اتصال من الخطيب أبي سامي فاستبشر خيراً ، يخبره بالاستعداد جيداً هذه الليلة .

بعد الانتهاء من المحادثة سارع بالاتصال على زوجته وأخبرها أنه سيخرج الليلة مع أصدقائه للعشاء وهذه حجته الدائمة للهروب من ضيق أنفاس زوجته ولجاجتها المتكررة ، ودون أن تهاجمه بالسؤال استسلمت للواقع وأخبرته أن لا يتأخر أثناء العودة وبادرها بالموافقة المتذمرة المترددة .

بعد الانتهاء من عمله في تمام الساعة الرابعة غادر إلى بيته لأنه اطمأن أن زوجته غير موجودة لأنها تذهب إلى بيت أهلها عادة عندما يكون مع الأصدقاء وفي تلك اللحظات الجميلة لما وصل إلى البيت بدأ برنامج التنظيف والحلاقة و تجهيز الملابس النظيفة الجديدة و الرقص والعزف مع أجواق الغناء والطرب الصاخب و تناول معجون الأسنان و أخذ يفرك في أسنانه كمن يطليها بالبياض وهو يفكر في هذه الليلة الجميلة التي ستخلصه من كآبته وكمده الذي عانى منه سنين عجافاً لا يهنأ باللذة ولا يرقد بأمان فقلبه أصبح متأرجحاً آيلاً للسقوط لكن هذه الليلة سترجع كل الأمور إلى مكانها الطبيعي وسيبدأ حفلته الجديدة بحياته الزوجية التي طالما رغب فيها وبحث عنها .

بعد صلاة المغرب اتصل بأبي سامي ليتثبت من الموعد لكن أبا سامي لم يجب على اتصاله و دكّ حصونه اليأس القاتل العنيف و عادت إليه

ذكرى تلك المرأة التي نكثت موعدها معه ، هل غيرت رأيها ؟ أو أبو سامي من غير رأيه ؟ ما الذي يحدث ؟ هل القدر انقرض في هذه اللحظات ؟ يا رباااه رحماك من ألمي وشتاتي .

ذهب إلى المطبخ ليعمل له عصير ليمون ليهدئ به أعصابه وليتنفس الصعداء وليعود إليه بصيص الأمل .

بعد صلاة العشاء جاءه اتصال من أبي سامي واستبشرت ملامحه فرحاً وخالجه السرور وعلل أبو سامي عدم الرد على اتصاله بأن العروس لم تجب أيضاً على اتصالات الخطّابة ولهذا انتظر حتى يتحقق من الموعد المقرر .

انتظر أبو سامي الزوج في شارع الماجد حتى بدأ الوقت يتقلص تدريجيّاً لينبئه عن اقتراب الموعد واقتراب الحلم الجميل .. انطلقا حتى وصلا إلى شارع النجاح وأوقفا السيارة بالقرب من أحد الدكاكين في أحد الأحياء المكتظة بالسكان ، نزل أبو سامي من السيارة بعد أن ترك الزوج فيها و اتصل بالخطابة ليتحقق من وجود العروس . نزل الزوج من السيارة و توجه مع أبي سامي إلى بيت الخطابة .

طرقا الباب فخرجت الخطابة و وجهتهما إلى الجلوس في المجلس وانتظرا حتى جاء ابن الخطابة وقدم لهما الماء والشاي والعصير وحضر أيضاً أخو الخطابة فقد كانت الخطابة أرملة توفي عنها زوجها وترك لها هذا الابن الوحيد وأقسمت أن تعيش بالحلال لتسد رمق ابنها و لتواجه مصاعب هذه الحياة المؤلمة التي لا ترحم ، دار الحديث حول أسباب الزواج وما هي معطياته والدوافع الحقيقية لذلك ، وكان الحديث ذا شجون وأخبر أبو سامي أن العروس الجديدة لا تريد سوى الستر والستيرة وأنها تريد طاعة زوجها مهما كلفها الأمر .

في تلك اللحظات الجميلة عرجت على الزوج موجة خوف شديدة لم يعلم سر تلك الموجة المفاجئة لكن أرجأ الخوف من أن لا تطابق هذه العروس المواصفات التي يطمح إليها و يتمناها في أحلامه وواقعه فهو تعب كثيراً للحصول على امرأة وافقت أن تكون ضَرّة .

انطلق الزوج يرافقه ابن الخطابة حتى اقترب من الغرفة الداخلية التي توجد فيها العروس فتح الباب وأخذت نبضات قلبه تتسارع في الخفقان حتى شعر أن قلبه يكاد يخرج من قفصه الصدري وما هذا الشعور المؤلم ؟ أريد أن أشرب الماء لا لا لا ليس هذا وقت الماء تستطيع أن تؤجل شرب الماء إلى ما بعد النظرة الشرعية ولكني لا أستطيع ماذا أفعل ؟ حاول أن تعصر في ريقك وترتوي منه لو قليلاً آاه ما هذا الإزعاج؟ يا رباااه رحماك ما هذه الضيقة و هذا الألم المضني ؟؟؟ دخل الغرفة وكانت العروس مطأطئة رأسها من شدة الخجل و كان بالقرب منها الخطابة .

طأطأ رأسه خجلاً وعاد تنفسه وخفقانه إلى وضعهما الطبيعي وهدأت أعصابه قليلاً واعتلته رسمة ابتسامة طفولية بريئة حتى كاد أن يقفز من مكانه وأخيراً اقتربت من حلمي الذي طالما بحثت عنه إنه الحلم الذهبي و الكنز الماسي الذي سأرحل به حول الدنيا .

نادت الخطابة كلا العروسين بأن يرفعا رأسيهما وبحركة بطيئة كما في الأفلام الرومانسية رفع العروسان رأسيهما وجحظت عيون كليهما حتى كادت أن تخرج من محاجرها وبانت أوداج الزوج وقبضت العروس (التي كانت زوجته) على يدها واحمر وجه الزوج ... و انتفخت فتحتا أنف زوجته وقالا في صوت واحد : أيتها الخائنة أيها الخائن .

الوردة الجديدة

حياتي مثيرة... بدأت عند بلوغي سن السابعة عشرة ، وهذا أمر طبيعي فحياتي كحياة جميع البنات من جنسي اللواتي يبحثن عن قدرتهن و مكامن جاذبيتهن .

فعندما يصل بهن العمر إلى سن المراهقة الجامحة المتغطرسة لا يستطعن السيطرة على تلك النزوات والانفعالات التي تحدث كالبراكين الغاضبة وكأنها تريد أن تتنفس .

البنات في هذا العمر يعشقن الانطلاق إلى فضاء أنوثتهن والحرية الطائشة ولا يعلمن عواقب ما يعشقن ويبحثن عن ذواتهن المختبئة في مكنوناتهن والتجربة حاضرة في الكثير من المواقف .

كنت وحيدة أمي وأبي و مدللة جدّاً عندهما .. والدي يعمل في شركة الكهرباء ووالدتي تخرجت من الجامعة بشهادة بكالوريوس اجتماع و هي جليسة المنزل وتقوم ببعض الدروس الخصوصية لأطفال القرية .

أعشق كل ما هو جميل وأحب الافتخار بأنوثتي وهذا ليس حكراً لأحد... تقدم الكثير لخطبتي ورفضتهم حتى أتمّ دراستي الثانوية ، على أنّ رغبتي في الزواج ابتدأت في المرحلة الأخيرة من المتوسطة حيث يغزو البنت في هذه المرحلة الشعور الدافئ المتدفق و يكتمل نضجها وتصبح في هوس دائم .

كنت أجلس دوماً على الإنترنت وكنت أقرأ في الروايات والقصص الرومانسية فعشقي للرومانسية نابع من الدلال الذي عشته في بيتنا..

غرفتي مليئة بالصور الرومانسية و الدمى الكثيرة الصغيرة منها و الكبيرة و لا أنام إلا في أحضانها لأنها تشعرني بالدفء .

ذات يوم أخبرتني زميلتي في الدراسة أن هناك منتدى جديداً ورائعاً جدّاً ... واقترحت أن أسجل فيه ، في البدء لم تكن لدي الرغبة في فكرة المنتدى نهائيّاً معللة ذلك بأنه ارتباط وانشغال عن قراءتي للقصص و الروايات لكن سرعان ما تبدد كما يتبدد الضباب عند بزوغ الشمس .

دخلت على رابط المنتدى و شاهدت الاستايل الرائع ... دخلت على بعض الموضوعات التي جذبتني وزاد إعجابي به فأسرعت بالتسجيل وكانت بدايتي فقط القراءة وبعد أن رأيت فيه حماس المشاركين والمشاركات والردود الرائعة استدعى ذلك المشاركة بالموضوعات و الردود أيضاً .

بعد مرور ثلاثة أيام من المشاركات دخلت ولأول مرة قسم التسالي والألعاب وليتني لم أدخل فقد شغلني هذا القسم كثيراً حتى عن قراءة القصص والروايات التي ابتعدت عنها قليلاً بعد مشاركتي في المنتدى.

نالت إعجابي طريقة اللعب و الحماس المتوقد في أروقته من الشباب والبنات ما دفعني إلى المشاركة مع زملائي في المنتدى وشعرت حينها في هذا القسم بالسعادة التي غابت عني فترات طويلة فأنا عادة ما أكون وحدي في البيت فوالدي مشغول بعمله ووالدتي مشغولة مع صديقاتها ودروسها الخصوصية .

ارتفع عدد مشاركاتي حتى اقترب من السبعمائة مشاركة و كنت أترقب العودة من المدرسة لأجلس على النت و أغوص في المنتدى الذي شعرت فيه أنني أنثى حقيقية ففيه أقسام الموضة و الجمال و ما يخص المرأة و أيضاً الأسرة .

دخلت أحد الأيام إلى المنتدى وشاهدت وجود رسالة خاصة ، فتحت الرسالة التي كانت من المدير (مؤسس المنتدى) يخبرني أنه تم اختياري للإشراف على قسم التسالي ، لم تكن معرفتي بالإشراف سوى اسمه حتى خالجت نفسي كيف لي بهذا الأمر ؟ لكنه أخبرني في نهاية الرسالة أنه يوجد قسم خاص للمشرفين لمن يريد معرفة المزيد أو لمن لديه أي اقتراح .. سعدت كثيراً وغمرتني الفرحة والسرور .. وكما تعلمون أنه لا بد للإنسان في جميع مجالات الحياة من تكريم عندما يعمل بجد وكفاح و إلا سيضمحل جهده ويذبل كما تذبل الوردة التي ينقطع عنها الماء .

دخلت على قسم المشرفين و كتبت أول موضوع لي في القسم أسأل فيه عن كيفية عمل الإشراف ؟؟ فكان أول رد للمدير أعلمني بالصور كيف أشرف على القسم وبعدها جاء الرد الثاني من قبل رئيس المشرفين يشكرني على الاهتمام وكان هذا الرئيس على المشرفين يوجد بكثرة في قسم التسالي والألعاب وقد وصل عدد مشاركاته خلال شهرين أكثر من ٣٠٠٠ مشاركة حتى تساءلت كيف له أن يصل إلى هذا العدد الهائل ؟؟؟ فقلت في نفسي إنه من الممكن أن يكون عاطلاً عن العمل لهذا يقضي جُلّ وقته هنا فيؤنس نفسه ويتنفس من خلال المنتدى الصعداء ويداعب شبابه لعله ينسى هموم الدنيا التي تكالبت على رأسه .

تغيبت عن المنتدى يومين بسبب شعوري بالتعب و عندما دخلت في اليوم الثالث تفاجأت بوجود رسالة خاصة من رئيس المشرفين يسأل فيها عن أحوالي و سبب تغيبي .. شعرت بالسعادة في وجداني لكني لم أملك الرغبة حقيقة في الرد عليه ... لكن الإنسان حتماً لا يبقى على حال ولا بد من أن تجرفه رياح التغيير كالسيل العرم ولكن المهم في التغير أن يكون إلى الأفضل لكيلا يخسر الإنسان ما أسسه في بداية مشواره في الحياة .

تراجعت بعدها عن رغبتي فوساوس إبليس تدفعني إلى ذلك ... قمت بالرد على رسالته برسالة أشكره فيها على سؤاله وأخبرته عن أسباب غيابي . لكن لم أحسب حسابي للمرة الثانية فقد بعث لي برسالة أخرى وفيها وردة متحركة وقال لي آخر الآلام إن شاء الله ولا بأس طهور إن شاء الله .. هنا لا أخفي عليكم أنني أعشق الورد و ألوانه وطيوفه وقطرات الندى على بتلاته فللورد لغة جميلة خاصة به لا يعرفها إلا من تفنن في دراسة الورد وأنا في غرفتي صور كثيرة للورد بكل أنواعه.. وكأن هذا الشخص يعرف ما أتمنى وما يروق لذوقي و أرسلت إليه رسالة ثانية فيها وردة جورية متحركة أيضاً وكتبت تحتها شكراً لك . وبدأنا بعدها نتراسل بين الفينة و الفينة حتى أصبحت أترقب أي رسالة منه.

مرّت الأيام التي عشت فيها نمو الذات وعشت فيها بنهم الأمل و الأنوثة التي تجسدت في أروقة جسدي ... أرسلت إليه إحدى الرسائل التي أستفسر فيها عن بعض الجوانب الإدارية و الإشرافية و رد فيها بكل ما أحتاج و في آخر الرسالة وضع إيميله و قال تحته لو احتجتِ إلى أي مساعدة فأنا بخدمتك ... علامات الاستغراب ارتسمت على محياي البريئ نعم لقد كنت بريئة لم أعلم ما وراء الأكمة وقد أكون أنا السبب.

أضفته في قائمة الاتصال بعد مداولات مع نفسي و وساوس الشيطان لا تفارقني .. في أول يوم لم يكن موجوداً على الماسنجر و احترت في أمري ... فالشوق يصنع نفسه و احتياج المرء إلى شخص يفهمه سر بقاء الوجود واستمرارنا على الحياة يعني أن هناك أملاً في السعادة التي نبحث عنها ...

صباح اليوم التالي امتطيت صهوة الهموم لغياب تلك اللحظات الجميلة بالحديث معه فالرغبة بوجود إنسان يسمعك بقلبه كالرغبة في البقاء على قيد الحياة ولكن هذه اللحظات التعيسة انجلى جاثومها عن صدري فبُعيد صلاة المغرب عندما فتحت الماسنجر رأيته موجوداً وقد أرسل رسالة يعلمني فيها بوجوده

بدأت الحديث معه واستمر حتى الساعة الثانية عشرة ليلاً وكان ذا شجون ففي أول حديث معه شعرت أنه بالفعل القريب إلى وجداني لهذا توسعت في الحديث وأخبرته عن الكثير من حياتي الشخصية وهو كذلك أخبرني عن أمور تخصه .

واصلت الحديث معه بواسطة الماسنجر فترة طويلة تعمقت فيها علاقتنا وأصبحت راسخة كالصخرة الراسية لا تزلزلها الرياح الغاضبة ...حتى جاء ذلك اليوم الذي لم أعد أحتمل فيه كبت مشاعري تجاهه وأخبرته أنني (أحبه) لأنه استطاع أن يزرع في صحراء قلبي نبتة الحب و يسقيها من عشقه الدائم و ألهمني معاني كثيرة في هذه الحياة .. بادلني هذه المشاعر وأخبرني أنه كان يحمل تلك المشاعر من بداية معرفته بي في المنتدى .

مرت الأيام حتى جاء ذلك اليوم الذي حوّل حياتي تدريجيّاً وبدأت أسقط كالمتردية من أعالي الجبال طلب أن يشاهدني بواسطة الكام.. حلّ صمت رهيب وكأن على رأسي الطير لا يقدر على الطيران استغربت من هذا الطلب ولم يكن في الحسبان ولا في توقعاتي .. قابلته بالرفض الشديد.. ألحّ في طلبه ... تشبثت بقراري ... ألحّ في طلبه !!! غضبت لهذا و بان في كتاباتي ... تراجع في طلبه إلى أن يشاهد صورة شخصية فقط... في بادئ الأمر لم أقتنع وترددت في ذلك ولكني قلت في خلجات

نفسي ما ضير الصورة وأنا محجبة بالحجاب الإسلامي و لن أتخلى عن هذا إذا ما أراد رؤية صورتي وما زال الشيطان ينفث بوسوسته وحبائله.

فعلاً أرسلت إليه صورة وأنا محجبة .. أُعجب بها كثيراً و أخذ ينهال عليّ بعبارات المدح و الثناء حتى كبرت عزتي في نفسي وثقتي في جمالي و احتجت إلى المزيد من هذا لأشعر أني أنثى حقيقية ، فالمرأة عندما ترى الرجل يمدحها تشعر بالعزة في نفسها والتفاخر.

بعد مضي أيام قليلة طلب مني صورة أخرى لكن أرادها بدون حجاب وقال لا تخافي فأنت وصورك في أيد أمينة و أعدك بكل المواثيق والعهود أني سأمسحها ولن أبقيها معي وإنّ الحب الصادق الذي بيننا هو أيضاً كفيل أن يحمي لنا تلك الصور ولكي تطمئني أكثر سأرسل إليك صورتي الخاصة .

وافقت على طلبه وأرسلت إليه الصورة التي طلبها وكانت هذه الصورة هي بداية لبقية الصور والتردي إلى الحضيض كما قلت لكم .. أيضاً أرسلت إليه صورتي وأنا أكتب وأنا مسترخية على سريري و صورة دولابي الخاص وغرفتي حتى خضعت له وأرسلت إليه صوري بملابس متعددة وصوراً كثيرة جدّاً لم أتوقع أن أرسلها حتى إلى صديقاتي ، فعندما تنفك العقدة ينسل الحبل و يصبح أكثر استرخاء .

مرت الأيام ونحن على هذا الحال أرسل إليه ويرسل إلي حتى أعطيته رقم جوالي و أصبح الجوال له رونقه الخاص حيث أرسل إلي الرسائل والوسائط الرومانسية و النكت الجميلة وفعلاً مرّت سنة وعلاقتنا ما زالت مستمرة وأصبحت أكثر رسوخاً وتماسكاً وقوة لأني أعطيت هذا الحب إخلاصي وصدقي و تضحيتي لكن الطرف الآخر ماذا قدّم لهذا الحب ؟

فجأة غاب هذا الشخص عن الماسنجر و فجأة انقطعت اتصالاته حاولت الاتصال به أكثر من مرة لكنه لا يجيب ... مندهشة .. تائهة .. غائبة الوعي .. لا أعرف بماذا أفكر ؟؟

بعد مضي ثمانية أيام على غيابه أرسل إلي رسالة على الجوال يطمئنني فيها عن أحواله و يخبرني أنه يتمنى أن يتحدث معي في أمر مهم ، شعرت بلحظات الموت و الخوف وأي أمر مهم يمكن أن يحدثني فيه ؟ غير صوري !! أو عن علاقتنا ؟ يا رباه فهل هناك مفاجآت لهذه الأنثى البريئة المسكينة ؟

فعلاً هرعت ودخلت المسن رحبت به وسلمت عليه وبادرني هو كذلك، استمر الحديث فقط خمس دقائق في السلام والعتاب وبرر سبب غيابه بظروفه الخاصة لم أقتنع بما قاله لكنني تغافلت عن هذا الأمر حتى سرعان ما قال لي إنه يتمنى أن يراني وجهاً لوجه .. أخذ تنفسي يزداد و أشعر بالاختناق أحياناً اصفر وجهي و أصابعي ترتجف لأنه يتحدث بنبرة واثقة ... رفضت هذا الطلب نهائيّاً .. أصرّ على طلبه.. حتى نطق بذلك الكلام الذي أقعد قلبي عن النطق والتفكير وأصبحت مشلولة الحواس وكأن حجراً جثا على لساني كنت مخدرة فعلاً فأنا لم أتوقع أن يحدث هذا حتى في بحبوحة أحلامي فترديت في حضيض الذئاب المفترسة وكنت فريسة الكل يريد أن ينهش منها ما يشبع جوف شهوته.

قال إن جميع صورك موجودة عندي ولم أحذف منها ولا صورة وإذا أصررتِ على موقفك فإني سأنشر صورك على الإنترنت وسيعلم والدك بذلك وقد يقتلك و تنتشر فضيحتك كان يقول هذا الكلام وأنا أتألم و أصيح من الألم والقهر لم أتوقع هذا الموقف البتة خصوصاً من هذا

الشخص الذي أغرقته بالحب المخلص ، وبدأت أسأل نفسي ماذا لو انتشرت صوري في الإنترنت ورآها القاصي والداني ؟ وما موقف والدي مني ؟ وما موقفي من والدي ؟ وكيف سيواجه فضيحتي أمام الناس؟ وماذا سأقول لأمي وتربيتها لي ؟ وأيضاً صديقاتي في المدرسة ؟ حتماً سأكون بنتاً كالبهائم لا قيمة لها أخذت أجهش بالبكاء وقلت له أمهلني ثلاثة أيام أرتب فيها أموري وقلت إنني لم أكن أتوقع منك هذا الفعل لكنه ابتسم وقال ستشاهدين الأعظم وأغلقت المسن و ركضت إلى سريري وألقيت بنفسي عليه و سبحت في موجة بكاء عاتية يعلوها صوت الحسرة والندم لضياع أنوثتي وشرفي في يد شخصٍ طالما أحببته ووثقت فيه و تركت صديقاتي المخلصات من أجله .. فهدية الحب التي نلتها منه أنه يريد تدمير أنوثتي و زهرة شبابي في شهوة حيوانية مكبوتة لم يكترث بما ضحيت به من أجله بل رمى كل حبي له عرض الحائط كان هو الحب الأول ورسمت للحب الكثير من الآمال و التوقعات الجميلة لكن جاء هذا وبدد كل طموحاتي .

مرّ اليوم الأول من المهلة و كنت شاردة الذهن شاحبة البشرة كئيبة الحواس و المشاعر ، صادف هذا يوم الخميس جلست على الغداء وحاولت أن أظهر لوالدتي ووالدي أنني طبيعية وأخبرتهما أنّني يوم السبت سأذهب للعشاء مع إحدى صديقاتي لم أكن صادقة في هذا حيث كان موعدي مع هذا الشاب الحقير ليلة الأحد .. بعد الانتهاء من الوجبة شربت الشاي معهما وحاولت بقدر المستطاع أن تكون ملامحي وجوارحي أكثر طبيعية لأنني لم أستطع أن أخبرهما بما يجري .

صعدت إلى غرفتي وبدأت موجة من التفكير والندم على ما فعلته بنفسي وتمنيت أمنيات أني لم أدخل هذا المنتدى ولم أتعرف على هذا

الشخص وليتني عكفت على تطوير موهبتي في الرسم حيث كنت متميزة في الرسم والتصوير الضوئي أحياناً وأكتب بعض الخواطر فجميل أن يستغل الإنسان أوقات فراغه في تنمية مواهبه فلو لم يعمل على ذلك فحتماً سيقع في الأخطاء التي لا يدركها إلا بعد مرور الزمن أو بعد أن يقع في عواقبها لهذا علينا أن نستفيد من أوقاتنا في القراءة و تثقيف النفس وتطوير الذات فكل إنسان منحه الله سبحانه وتعالى موهبة عظيمة وقدرة إيجابية في داخله ومن يملك العقل فحتماً سيخرج أفضل ما لديه ، فكرت كثيراً وأخذت أقلب الصور التي أرسلتها إليه و أغرقت دموعي تلك الصور كالبحر الذي يحبس أنفاس ساكنيه ... مزقت تلك الصور ولكن لم يشفَ غليان قلبي من هذا حتى نزلت إلى المطبخ بعد أن تحققت من أن والدي ووالدتي خلدا للنوم وأحرقت الصور ولم أبقِ أي أثر لها حتى أخذت رمادها ورميته في المرحاض وهل سيجدي ذلك نفعاً ؟؟

جلست بعدها أمام التلفاز لأنسى ولو القليل من تلك المواجع و أخذت بتقليب القنوات حتى شدني لقاء مع أحد الإخوان في جمعية حقوق الإنسان وكان و يا للمصادفة يتحدث عن ابتزاز البنات فركزت في كلامه و أخرجت القناة على شريطها تليفون هذا الشخص و دونته عندي و استبشرت خيراً لهذا الأمر و فعلاً لم أنتظر طويلاً فبعد المغرب اتصلت به و أخبرته بقصتي و أحالني على مسؤول حقوق الإنسان في منطقتنا و اتصلت به و أخبرته بكل قصتي و فعلاً ساعدني في الأمر و أخبرني أنه سيتصل بدوريات الأمن التي ستعزز الموقف و أخبرني أنه سيتم رصد كمين لهذا الشخص و أرشدني بالتعليمات جميعها و سررت جدّاً و اطمأن قلبي و رحت أشكر الله على ما أعطانا من رجال يقفون و يحافظون على الوطن و المواطن .

فرحت كثيراً جدّاً لهذا الكلام وأخذت بالصراخ لكون شر في سأحافظ عليه واحتضنت الدمى التي حولي و وسادتي وصرت أخاطبها دون شعور وبعدها قمت بالتوضؤ و صليت ركعتين شكراً لله سبحانه وتعالى و قرأت جزءاً من المصحف الشريف وقمت إلى المطبخ أساعد والدتي وعدت إلى الحياة التي ينبغي أن أمارسها من قبل وذهلت والدتي من تصرفي بمساعدتها لكنها لم تبدِ أي كلمة .

يوم السبت كنت مرتبكة حزينة وخائفة في نفس الوقت من عدم نجاح المهمة لكني استعذت من الشيطان وأخذت أقرأ بعض السور القصار و بعض الأدعية حتى جاء الوقت المحدد وأخبرت والدتي ووالدي بأني سأذهب إلى صديقتي وخرجت من المنزل وكان ذلك الشخص ينتظرني في مكان بعيد قليلاً عن المنزل وهنا حل الخوف في تلابيب قلبي لكني توكلت على الله وتوجهت إليه وركبت سيارته .

بدأ يتحدث معي ولكن لم أعطه بالاً بل أخذت بمناجاة الله سبحانه و تعالى حتى أخذ قلبي يرتجف خوفاً عندما سلك طريقاً رمليّاً طويلاً بين بيوت ما زالت في طور البناء وتوقف عند إحدى المزارع و أطفأ السيارة وفتح بابه وقبل أن ينزل انقض عليه رجلان ضخمان شديدا الملامح عريضا المناكب.

أخرجاه من السيارة بالقوة و كبلا يديه و أنا نزلت من السيارة و أجهشت بالبكاء وجاءت إلي إحدى السيدات التي كانت زوجة المسؤول الذي تحدث معي و احتضنتني ومسحت على كتفي و أخذ رجال الأمن ذلك الشخص إلى السيارة الخاصة .

ركبت بعدها في إحدى السيارات ومعي تلك المرأة واحتضنتني لأني قمت أرتجف من الذعر كالطير الذي تخلص من أنياب الصقر .

أثناء الطريق أخبرتني أن صوري في أمان وأن رجال الأمن سيأخذون كامل الصور من عنده و سيجبرونه على تعهد بأن لا يحتفظ بأي صورة ولا يتحدث لأحد عنك وإلا عرض نفسه للعقاب الأليم والسجن .

ذهبت عند إحدى صديقاتي من أجل أن أكون صادقة وجلست عندها حتى اطمأن قلبي و هدأت فرائصي وبعدها وصلت إلى البيت وقمت بالوضوء وصلاة ركعتين شكراً لله واستغفرت الله كثيراً وخلدت للنوم وفي اليوم التالي ومع زغردة العصافير في الصباح تناولت كوباً من الحليب وذهبت إلى المدرسة وتابعت دروسي حتى عدت كما كنت متميزة ولاحظت البنات هذا التغيير المفاجئ وانطلقت حياتي الجديدة.

الحب المنجلي

انطلقنا مساء يوم ثلاثاء مع صديقي إبراهيم إلى أحد أصدقائه لنتعرف على ماهية قصته التي أردت أن أقف عليها طويلاً .. كان المنزل الذي نقصده يقع في الحي المجاور لحينا الذي نقطن فيه ... أثناء المسير غرقت في دوامة من التفكير وخاطبت نفسي في صمت مطبق كيف سأبدأ مع هذا الشخص وماذا سأطرح عليه من الأسئلة ؟؟ كنت أسرح كثيراً وسرعان ما يتداركني إبراهيم ويوقظني من شتات تفكيري .

بعد عشر دقائق من المسير انطلق صوت صديقي إبراهيم ... اقتربنا اقتربنا لا تقلق لا تقلق فالإنارة المنبعثة من تلك النافذة هي مكان إقامته.

اقتربنا عند الباب ، دق إبراهيم الجرس وبعد ثوانٍ انفتح الباب عن رجل نحيل طويل أبيض البشرة وشعره مجعد متناثر على فروة رأسه ، وملابسه تكاد تكون نظيفة .

صافحته بحرارة و ابتسمت له ولكنه بادرني بابتسامة جافة و عرفت أنه فعلاً شخص يعاني كثيراً وأن ما قاله إبراهيم عنه ليس سوى جزء بسيط من حالته الكئيبة التي يتقوقع داخلها .

جلسنا في الغرفة المخصصة لاستقبال الضيوف وكانت متواضعة لحد القبول و ما شدّ انتباهي وجود صورة مرسومة توحي بالألم والبكاء وكان ما يميزها وجود طير مذبوح والدم يسيل على أنحاء الصورة وبالقرب

منها مكتبة صغيرة لعشرات الكتب والمجلات و أيضاً مائدة عليها صورة صديقنا العزيز وسام وصورة لوالده و فوقها نافذة مشرفة على خارج المنزل .

ابتدأ إبراهيم بتعريفي على صديقه و عرفني عليه وتناولنا الفواكه و شربنا الشاي مع النعناع .

وطلبنا من وسام أن يسرد قصته التي جعلته حبيس الدار و بعد آهات كثيرة انطلق في قصته :

كنت في السادسة من العمر وكان هذا العمر يمنحني مقعداً على كرسي الدراسة لم أكن أعلم ماذا سيجري وكيف ستكون الأمور كنت خجولاً لكن هذا ما فتئ أن ذهب خلف الشمس عندما تعرفت على شقي الطفولة سعيد .

كنت مشاكساً لكن درجاتي متميزة عن الآخرين وبصدق أقول شعرت أنني متميز عن بقية الأطفال تميزت في كل أمور حياتي حتى نلت جوائز عديدة وهذا حافز كبير تقوم به إدارة المدارس لبتر الروتين اليومي الذي يميت العقول .

وصلت إلى الصف الرابع و من هنا بدأت حياتي ، الحياة التي طالما بحثت عنها ولم أجدها الحياة التي جعلتني أبتسم كثيراً لكنها في الأخير جعلتني مثل الشحاذين ، آاه لهذه المرحلة وقفة كبيرة لن أنساها ، ذات يوم سمعت صوت الباب يطرق وكنت أحل واجب الرياضيات فنادتني أمي

- وسام .. يا ولدي افتح الباب الله يفتح لك أبواب الجنة

انطلقت لأفتح الباب و لما فتحته رأيت أم وافي في وجهي .. دلفت أم وافي إلى بيتنا وبرفقتها ابنتها عبير .. عندما رأيتها يا عزيزي لم أتمالك نفسي حتى سقط دفتر الواجبات والقلم من يدي وتسمرت عيوني في جمالها نعم إنها ملكة جمال لا لا إنها حورية عين سقطت من أعالي السماء إنها ناعمة إنها فلقة قمر .

أم وافي تنظر إلى تعابير جسدي وتبتسم وابنتها لم ترمقني بأي نظرة وكأنها في صلاة الفريضة... علت وجهها علامات الخجل وكانت الحمرة الساخنة غطت خديها ، يا لسروري يا ربي رحماك . أدخلتهما إلى غرفة الضيافة المخصصة للنساء و كانت نظراتي تغزو ملامح عبير الجميلة الطفولية .

دخلت أمي وسلمت على أم عبير و جلست معهن و تركت واجباتي لأدفّق أنظاري إلى عبير لأستقي منها الراحة و العنفوان حاولت أن أبتسم كثيراً لعلي ألتقط ابتسامة من شفتيها .

غادرت أم عبير بيتنا وتركتني وحيداً أتألم تركتني مع الليل أنظر إليه وأتخيلها لم أنم تلك الليلة وكأن إخوتي لاحظوا عليّ بوادر القلق وعدم الراحة .

في صباح اليوم التالي ضربني الأستاذ لأنني لم أكمل الواجب مما جعلني أتعلق أكثر وأكثر بعبير ، لمّا وصلت إلى البيت أخبرت أمي بما جرى لعلها تنتشلني من النفق الذي دخلت فيه ولا أعلم نهايته وفعلاً استجابت والدتي لنداء قلبي الودود وقررت في نهاية الأسبوع زيارة أم وافي .

دخلنا بيت أم وائل و كان الحديث ذا شجون و الكلمات تتبعها ابتسامات ففي هذه الزيارة أهديت عبير قلماً رصاصيّاً ليكون ذكرى أول الحب وبعد أسبوع زارتنا أم وائل ومعها عبير وفي هذه الزيارة أهدتني عبير دفتراً ومنذ هذه اللحظات ولدت علاقتنا وانطلقت حبائل الود بيننا وفهم الأهل أن عبير ستتزوج يوماً من الأيام وساماً .

مرت المرحلة الابتدائية وكانت هذه المرحلة من أجمل المراحل وأحلاها حيث تكوّن الحب في لحمنا وجرى في أوردتنا يسير مبتسماً و ينعش الخلايا و الأطراف ، عشقنا بصدق ولم تكن عبير تغيب عن ناظري وكنت أذهب وحدي إلى بيتهم لأراها و أهديها عصيراً مثلجاً أو تمراً هنديّاً وهي أيضاً كانت تبادرني بكل حب وإخلاص .

في المرحلة المتوسطة أخبروني أن عبير تتحجب لأنها وصلت إلى سن التكليف وأيضاً أوضحت لي والدتي هذا الأمر في بادئ الأمر غبُن قلبي لكنني لم أيأس حتى جعلت أختي همزة وصل بيني وبين عبير وما زلت أذكر في يوم الخميس أهدتني عبير هدية قيمة كانت وردة ياسمين وجوري وما زلت أحتفظ بهما حتى هذا اليوم وهما موجودتان في ذلك الكتاب (قام وجلب لنا كتاب رواية الإخوة كارمازوف للأديب الروسي دستوفيسكي وفتحه وأخرج منه الوردتين) وقال سأكتب في وصيتي أن يدفنوا معي هاتين الوردتين (ورانت لعينه دمعة باردة لكنه تمالك نفسه) .

دخلنا المرحلة الثانوية كانت هذه المرحلة حساسة جدّاً فنحن مسؤولون كثيراً عن تحركاتنا و معتقداتنا و عاداتنا ولا بد من أن نحدد طريقنا فهي الركيزة أو النواة التي ننطلق منها كان رفيق صباي ودراستي سعيد

رفيقي حتى الثانوية وفي الجامعة اختلفت التوجهات و الرغبات وافترقنا لكننا لم نفترق بالأرواح كان سعيد يعرف الكثير يعرف كل شيء عن علاقتي وحبي لعبير وأحياناً يساعدني في بعض الحركات الرومانسية بالفعل كان صديقاً بمعنى الصداقة ليس لمجرد اسم كصديق ، لقد اختفت الصداقة في زمننا هذا وأصبحت مجرد هواية وتسلية ولما يسقط الصديق في وحول المصائب لا تلقى حبال الصداقة تمتد إليه لتنقذه .... فما أجمل من يملك صديقاً صادقاً .

كانت رغبة عبير أن تكون طبيبة وهذا ما أثلج نبضات قلبي كثيراً رغم معرفتي أن مجتمعنا يتحفظ على أن تكون البنت طبيبة أو ممرضة والبعض يعتلي صهوة الشكوك والظنون ليقتل الشرف بكلمات وسهام الخباثة والدناءة لكنني أقف متوسط الرأي لا متطرفاً ولا متقاعساً فأنا أعلم أن المرأة لا بد أن تعطى كامل حقوقها المشروعة لا أن تبقى طريحة البيت تكنس وتطبخ وتنام ولا تلقى من يلملمها من شتات تعبها في عملها المنزلي ، لقد كانت عبير مثالاً للمرأة فهي مخلصة مثابرة في دراستها خلوق ومتدينة لا نظير لها وهذا ما شغفني حبّاً بها .

في أحد الأيام ناولت أختي بعض الشوكولاتة لترسلها إلى عبير رمزاً لشوقي إليها فقد ارتوت دمائي بحبها وأسقتني ماء عشقها ، لكن المفاجأة التي فجرت قلبي و تناثرت دموعي في بادئ الأمر لكن هذا لم يطل بعد أن عرفت هدفها النبيل ، جاءني الخبر من أختي أن عبير رفضت هذا الشيء لكن رفضها جاء بوقار واحترام فهي لا تريد أن تكون علاقتنا مجرد أهواء لهذا اقترحت على أختي لكي لا يتجالس الناس بالكلام في الدواوين وتنتشر الإشاعات فمهما كانت الأكاذيب يبقى الإنسان ليدافع عن شرفه وعرضه وعليه أن يبتعد عن كل ما يشوبهما وقالت عبير بل اقترحت على أختي أن أتقدم لخطبتها أو حجزها كأقل تقدير منعاً لأي إحراجات.

وبالفعل أسعدني هذا الاقتراح وأعطاني المزيد من القوة لكي أحبها أكثر و أكثر وفعلاً بعد الانتهاء من الثانوية ذهبت مع عائلتي وتم حجز عبير لـ وسام ولبست خاتم الحجز وكذلك لبست هي وأصبحنا نتراسل أكثر وأكثر من قبل لأننا نملك مفتاح ذلك وعشت أياماً سعيدة جميلة ومرحلة شائقة تمنيت لو أنها طالت لكن لا بد للأيام أن تتآكل ونقترب أكثر من النهاية إنها النظرية التي تقول لكل شيء نهاية ومن هنا بدأت النهاية لهذه القصة .

لما تخرجت من الجامعة أخبرتها أنني سأتقدم للزواج وهي رحبت بذلك وكذلك العائلتان الكريمتان وفعلاً استعددت لهذه الخطوة الجديدة على حياتي وألهب ذلك قلبي بالزغردة و المسرات وبانت على وجهي علامات السعد والفرح وتباشير الحياة .

و قبل أن نقدم على هذه الخطوات على كلا الطرفين أن يأخذا التحاليل للتحقق من سلامة الطرفين وهذا شيء احترازي ومهم لكي يكون أبناؤنا ثمرة لمجتمع سليم فالمجتمع القوي خير من المجتمع الضعيف فكلما كنا أقوياء علت همتنا و انطلقنا لساحات العلم و التقدم، وفعلاً انطلقت بسيارتي معها وبرفقتنا والدها إلى مركز أمراض الدم الوراثية بمستشفى الملك فهد و أخذنا التحاليل اللازمة وقالوا إن النتيجة ستكون يوم السبت القادم كانت الأجواء جدّاً رائعة و تواصلت مع عبير خلال فترة الانتظار وكنت أحكي معها عن استعدادي للسفر إلى إسبانيا وماليزيا وإلى دول أخرى وكذلك أخبرتها عن غرفة النوم وكيف ستكون وصالة الأفراح للرجال في فندق الإنتركونتيننتال و تقريباً تكلمت معها وحددت الخطة عن كل ما سيجري بعد أن نتزوج وأيضاً لا تستغربوا لو قلت لكم إنني تفاهمت معها على أسماء الأطفال

واختلفنا قليلاً ولكننا أرجأنا الموضوع إلى وقت آخر ومر الأسبوع وجاء يوم السبت وذهبت إلى المركز لأعرف النتيجة ....

وصلت إلى المركز في تمام الساعة العاشرة صباحاً بعد أن أخذت الإذن من عملي دخلت المركز وناولته ورقتي وورقة عبير وجلست أنتظر النتيجة وقلبي نبضاته تزداد شيئاً فشيئاً و أخذت أنظر إلى لوحة معلقة أمامي عن الزواج السليم والمخطئ وكيف أن الزواج المخطئ ينتج أولاداً سيعانون مدى الحياة ولا بد أن نعطيهم حقوقهم ليكونوا سليمين فما ذنبهم وهم يعيشون بتعب وغيرهم يلعب بالكرة في ساحات اللعب و نظرت إلى لوحة أخرى فيها صبي وفي يده إبرة المغذي ونظراته تقول متى سأكون مثل بقية الأطفال ، أحزنني كثيراً هذا الولد .

نادى الموظف باسمي

– قال لي تفضل هذه النتيجة وأتمنى أن لا تغامر ... قطبت حاجبي وكأني أمام متاهة مظلمة ...

– قلت ممكن توضح كلامك

– قال و هو يضغط على الكلمات : أنت حامل لمرض التكسر المنجلي وهي حاملة أيضاً لنفس المرض ... نظرت إليه بعصبية

– قلت : أي حمل؟ عن ماذا تتكلم أنت ؟

– قال لي بهدوء ورصانة ورباطة جأش : ينبغي أن لا تتزوجها لأنكما ستنجبان أطفالاً مصابين

وهنا رفعت يدي وكدت أن أضربه لولا أن مسكني أحدهم

– قلت له بأي حق تقول لا أتزوجها ؟ ومن أنت لتقول ذلك ؟ و أصبح المكان أكثر فوضى والشيء الجميل أن الموظف كان حليماً لم يبادلني

الإساءة وهنا جاء الأخصائي الاجتماعي و مسكني بيده وهدأ من روعي وأخذني إلى مكتبه .

أخبرني عن كامل الموضوع وأن هذا الزواج يعتبر خطراً على الأبناء وكان كلامه إرشاديّاً أقنعني ولم أتمالك نفسي وأخذت أجهش بالبكاء وهو يهدّئ من روعي ويسكن من أوجاعي التي نبتت لتوها في جسدي ، وأخبرته عن قصة حبنا .

– قال ما فائدة الأبناء من قصة حب تنجبهم مرضى ؟ وماذا ستقول لهم إن هم سألوك عن مرضهم ؟ وأيضاً أنت مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى .

لم أستطع أن أرد على هذه الكلمات وأخذت ورقة النتيجة واستأذنت وخرجت من مكتب الأخصائي وركبت سيارتي وأدرت المقود وبعدها انفجرت بالصراخ والبكاء لم أعلم أنني سأمر بهذه المرحلة وأنا ما زلت أختزل دموعاً كثيرة على فقدي عبير وبعد أن هدأ روعي واستقرت دموعي انطلقت إلى منزلنا ودخلت مسرعاً ناحية الغرفة وأغلقت على نفسي الباب ورغم محاولات الطرق على الباب والاستغاثة لم أفتح الباب وخرجت من غرفتي بعد يومين كنت هزيلاً ضعيفاً وعلمت أن الجميع علم بالنتيجة وأن عبير أيضاً منهارة ودائمة البكاء ولكن القدر أقوى من دموعنا وإرادتنا فهناك حكمة لكل شيء .

بعد سكون هادئ استمر عشرين ثانية علمت أن القصة قد انتهت لهذا انطلقت بالكلام وحاولت أن أواسيه ببضع كلمات لعل وعسى أن تكون له فاتحة خير وتحدثت له عن مواقف كثيرة جدّاً وعن قصص حب لم تستمر إلى آخره وبالفعل كانت كلماتي لها وقع كبير على قلبه وانتهى بنا الجلوس واستأذناه ورحب بنا .

الاختبار الأصعب

استيقظت من نومي باكراً ...

كعادتي أهيئ نفسي للعمل من أجل استقبال المراجعين فالإنسان الذي يواجه الجمهور عليه أولاً أن يملك نفساً جباراً على تحمل المفاجآت .

ركبت سيارتي بعد وجبة إفطار أعدّتها زوجتي الحبيبة التي وقفت معي في الكثير من معضلات الحياة وكوابيسها المظلمة ، فما أجمل أن يكون لدى المرء زوجة تسانده في ترهات الحياة وبنيات طرقها ، فالزوجة هي ثكنة من الخرسانة القوية التي لا تصدأ مع الرياح والأتربة العاتية .

سرت بعون الله على طريق عملي في مستشفى الملك فهد في يوم السبت من شهر شعبان ، بينما كنت في حالة من الشرود الذهني أيقظني مؤشر الوقود يخبرني باقتراب نفاد الكمية الموجودة في جوفه ، فاستسلمت لرغبته ، فتوجهت نحو أقرب محطة وقود على طريق الدائري .

اخترت أحد صناديق الوقود المناسبة للسيارة ، فتحت النافذة فأطل عليّ شخص هيئته أرعبت مشاعري ... انتفض شعر يدي وأصبح كخبير الإبل ، كان طوله مربوعاً وعليه قبعة حمراء خرجت من جوانبها خصيلات شعره الطويلة ، لم ألمح عينيه لأنهما مغطاتان بنظارته الشمسية التي أعطت جزءاً من الوسامة لوجهه المليء بحب الشباب وكأنه صحراء الربع الخالي ، فتحتا أنفه متسعتان ذكرتاني بمناجم الذهب في خليج المكسيك ويكاد لا يملك شفتين لصغرهما ودقتهما، أعطيته الإذن بأن يملأ الخزان كاملاً ، هنا استرخيت قليلاً و ما برحت

أن دلف تفكيري في هذا اليوم فحاولت الانزواء قليلاً عن هذه الضوضاء و رحت أستمع لإذاعة القرآن الكريم في الإذاعة السعودية .

وفي لحظات من الخشوع لسماع آيات الذكر الحكيم وما أجمل هذه الكلمات التي تبعث الأمل لخلايا الجسم وكأنها أكسجين تتنفس منه .

اقتربت من جهة اليمين سيارة عائلية لونها فضي معدني وعلى ما أعتقد موديلها ٢٠٠٨ كان يجلس خلف مقودها هيكل عظمي مع جلد بني تكاثر الشعر في يديه ، كان هذا السائق الخاص (دريول) لم أرَ في وجهه غير عظام جمجمته الناتئة وشعر لحيته الكثيف وكأنه بابا نويل. والذي شدني وجود قلنسوة على رأسه الصغير وتم تطريزها بخيوط فضية وصفراء فاقع لونها وخضراء ، لكني أمعنت النظر جيداً لأعرف لمن يقود هذه السيارة ؟ فوجئت في المقعد الخلفي للسيارة بوجود عباءة سوداء كاتمة كوهج الليل الغاتم وقد بانت منها فتحتان يملؤهما عينان بيضويتان متوسطتا الكبر كعيون الفهد القطري ورموشها الطويلة ، و أحيطت هاتان العينان بكحل رمادي هندي جعل منظرهما أكثر سحراً وجاذبية ...

خفق قلبي وتجمد الدم في أوردتي فالمنظر كان جذاباً ولا أعتقد أن يستطيع إنسان مقاومته لكني ... استعنت بالله وحده لا شريك له فهو القادر على كل شيء ، فأشحتُ بنظري بعيداً عن هذه الفتنة الجامحة ، لكن شهوة الإنسان قد تكون هي الفيصل في المعارك الحاسمة وخصوصاً عندما يكون الطرف الآخر امرأة .. فسرعان ما عاودت النظر إلى تلك المرأة التي اقتنصت قلبي بصنارتها ومفاتنها .

أغلقت إذاعة القرآن الكريم وفي طيات نفسي أمنيات كثيرة وأحلام مع هذه الكومة من اللحم الأبيض ، نظرت إليها مجدداً ورأيتها ابتدرتني

بنظرة ساحرية بكل دقة ، هنا اهتزّ إيماني و لم أستطع المقاومة ورجعت إلى نفسي أتكور حول تحقيق اللذة فهي كانت تقصدني وحدي ولا تقصد غيري ، ما أجمل اللذة على هذه النسمة الهافتة الناعمة كالحرير ، لذة عارمة تدفقت فجأة لا أعرف كيف أتفاداها ، هنا جذبت ورقة بيضاء صغيرة ووساوس الشيطان تساندني و تؤزني أزّاً و تناولت قلماً ودونت فيها رقم جوالي ، لكي أظفر بقربها ولو لحظة وأهنأ بعيشها الغداق العليل قد أكون غير منصف لكن ما عساني أفعل أمام هذه الحورية الجميلة ، نزلت من سيارتي مندفعاً لا يثنيني عن ذلك شيء .

فجأة جذبني ملك يشع النور من محياه وكأنه كوكب دُرّي ... أمسك بيدي وقال بصوت يفلج القلب يتخلله صوت روحاني حانٍ أشعرني بصوت قراءة القرآن الكريم وانسابت كلماته على قلبي كانسياب الماء البارد من أعالي الصخور .. وخاطبني بكل هدوء :

– تذكر أن لديك في بيتك زوجتك وأبناءك وما ستفعله في هذه الفتنة سيفعله بهم الزمن مهما طال أو قصر وسيخوضون معركة الكرامة و الشرف وحدهم ...

هدأ قلبي وانخفضت ثورة الدم في عروقي .. وبينما أردت التراجع عن الخوض في نواياي السيئة والعودة إلى وجداني وفطرتي .. شعرت برجل من نار في صورة قبيحة له عينان جاحظتان في الكبر و أنفه الطويل المتدلي من جبهته الصغيرة وشعره الأشعث ... جذبني من يساري يزين لي المرأة ومفاتنها ويرغبني في جمالها الكاذب ... لقد كانت المرأة ومن العصور الفانية سهماً من سهام الشيطان وسلسلة من سلاسله التي يقود بها البشر فهناك الكثير وقع في هذا الفخ لأنه لا يملك الإيمان الواعي الراسخ الرزين ، ولقد علم الشيطان وأعوانه أن

نقطة ضعف الإنسان تكمن في غريزته الحيوانية التي تثور كالبراكين عندما تتمعن أبصارهم في محاسن النساء سواء من حسن المكياج عيوبها أو لم يحسن ، فالهدف الرئيس هو تفريغ كامن الطاقة من أجل نشوة ولذة وقتية تزول مع اضمحلال السبب ولهذا يلجأ الإنسان إلى تكرار العملية مرة ومرتين ويغوص في وحول الذنوب ويبتعد عن لذات الآخرة الدائمة ...

- جذبني الملك الرباني من اليمين ونهرني عن اتباع الشيطان الرجيم الذي يزين للإنسان بابتسامته الخبيثة المراوغة وكثير من ينخدع بالابتسامات وبعد أن يعلق في شباك العنكبوت تتكشف مغامرات الابتسامة الفاشلة ...

- جذبني الشيطان من اليسار ووعدني بلذة باقية و سأبقى معها طوال الوقت وهذه الوعود ما فتئت أن انكشفت لي الحقيقة وراجعت نفسي وتذكرت القرآن الكريم والوعد بالجنان والوعيد بالنيران وكيف لهذا الجسم البالي النحيف أن يتحمل لظى النار الموقدة التي نفخ الله فيها سبعين ألف عام حتى اسودت فنحن لا طاقة لنا بحرارة سخان الماء فكيف بنار كانت الشمس أحد حطبها ، وكيف سأترك جنة عرضها السماوات والأرض والقصور والحور العين والأنهار لذة للشاربين والولدان عليهم ثياب سندس خضر من إستبرق ؟؟؟ وأجري خلف هذه الدنيا التي ستزول يوماً وستزول لذتي لبضع ثوانٍ ...

هنا أخذت سيف الإيمان وذكر الرحمن وقطعت يد الشيطان حتى بات منقرضاً لا أثر له فقد اختفى إلى ظلام الأرض ..

فبارك لي الملك بهذا التصرف وركبت سيارتي ورفعت نافذتها وعدت إلى سماع تلاوة القرآن الكريم ولم أعد أنظر إلى هذه الآفة

التي في السيارة حتى رأيتها تغادر محطة الوقود وقد كانت تنظر إلي وابتسامتها ما زالت لكني أشحت وجهي عنها بعيداً ...

انتهى العامل من ملء خزان الوقود وأعطاني منديل كلينكس وتبقى هناك ريالان أعطيتهما إياه صدقة عن تلك السيئة التي أردت أن أقع فيها و في حبائلها.

غادرت هذه المحطة التي كادت أن تزلقني في وحول من العبث مع الشيطان وكاد أن يسحرني بزوره لأكون كالخشب المسند ، غادرتها وأنا كالطفل الذي ولد من جديد غادرتها وفي قلبي حسرات على الانخداع بهذه الغابة من الأوساخ ، خلت نفسي أسير في الطريق أتنفس الصعداء واضطررت إلى التفكير في عملي لكي أمسح من ذاكرتي المناظر التي دنست بها عيوني البريئة ، لكن سرعان ما تحول ذلك التفكير إلى مشهد أغبط واقعي لاكتشافه حتى النهاية ..

في المحطة التالية رأيت نفس السيارة التي توجد فيها تلك المرأة ، لكنها هذه المرّة واقفة عند مركز للمواد الغذائية ، أوقفت سيارتي بعيداً قليلاً لأرى ماذا تفعل هذه العنكبوتة الشريرة ، فعلاً استطاعت الوصول إلى الهدف ، بادرها شاب ممشوق في طوله عريض المنكبين حاسر الرأس رأيته متوجهاً نحوها وفي يده ورقة بيضاء أعدها بكل أناقة و روية وكانت المرأة تنظر إليه بخبث لعين وبان عليها الفرح والسرور ولا أعلم أي فرح جراء جريمة تدنس العرض و الشرف .

استند الشاب بيديه على النافذة وابتسم لها وهي في نشوة من المرح أعطاها الورقة ، هنا سألت نفسي أين الملك الروحاني عنه لماذا لم يساعده ويبين له الحقيقة كما أوضحها لعقلي المخدر جراء تلك المرأة ؟ اكتشفت فعلاً أن الملك جاء إلى هذا الشاب الجميل و نصحه و سرعان

ما أدركت ذلك .... أوااه لقد قطع هذا الشاب يد الملك بعد أن أعطاه الشيطان سكيناً حادة ورأيت الدماء تتساقط من يد الملك وقد عرج نحو السماء والشيطان كان يرافقه إلى السيارة الجهنمية وما زالت ابتسامته الخبيثة تعلو وجهه وقد أحاط بالشاب وكأنه يحتضنه .

تركتها و أدرت عجلات سيارتي وغادرت مسرح الجريمة .

الصداقة اليتيمة

كعادته في عصر كل يوم خميس يخرج من بيته بعد استعداده و تجهيز كل أدوات الربط بين الأرض والسماء حيث يتوجه أبو مشاري صاحب ٤٢ سنة والذي يعمل مدرساً في إحدى المدراس لزيارة قبر والده .

يركب سيارته وآثار الحزن تجلّت على محياه مع وجود القوة والصلابة في بنيته القوية وساعديه المفتولين .. إنه رجل طيب معروف لدى جيرانه و مجتمعه يخدم الصغير والكبير ويساعد المحتاجين ورث من والده كل الصفات الأخلاقية ..

هذه المرة الأولى التي يخرج فيها إلى المقبرة دون أبنائه ، قد علّمهم وربّاهم على كل الصفات الجميلة فما أجمل وأروع الأب عندما يصقل أبناءه على تربية خلّاقة تتجذر فيها أخلاق الإسلام الحنيف فكلّما صقلهم على خصال معينة زاد أجره عند الله وأصبح أولئك الأبناء له عوناً وسنداً في الكبر ..

الشعور والإحساس لا بد أن نأخذه بعين الاعتبار فلقد شعر أن هذه المرة لن تكون كسائر المرات ،،، فاضطراب القلب يوحي بأشياء كثيرة قد تقع وعندما نقترب منها تحدث فعلاً فهذه موجات زرعها الله في أجهزتنا لعلنا نكون له من الشاكرين ولا بد أن نستجيب لتلك النبضات التي يخفقها القلب عندما نكون في مواقف تحتاج إلى الصمود ..

كانت المقبرة كبيرة وأسوارها ممتدة على مساحات واسعة حيث يشترك أهالي عدة قرى متجاورة في دفن أمواتهم فيها و آثار الترميم

المستمرة ما زالت واضحة على جدرانها وبالرغم مما تحدثه الرهبة و الخوف من القبور عندما تنظر إليها إلا أنه يوجد هناك أطفال يلعبون بالقرب منها وفي الليل ترتفع الأجواق رغم السكون المخيم على المقبرة..

دخل أبو مشاري بهدوء يسكنه من رأسه حتى أخمص قدميه ، توقف ليقرأ سورة الفاتحة عند بوابة المقبرة وخلع نعليه احتراماً لوالده فهو يستشعر أن والده ما زال حيّاً ، فهو الابن الأكبر والأكثر احتراماً وتواضعاً لوالده فكان يقبل يد والده ورأسه في كل مرة يقدم فيها إلى بيت والده ولا يجلس بالقرب منه في مجلس واحد ولا ينظر إليه بنظرة استحقار .

بعد قراءة سورة الفاتحة توجه برجلين متسمرتين وكأنهما أصابهما الشلل يحث الخطا منكسر الخاطر وقطرات من عينيه تنسكب بلا إرادة اقترب من قبر والده وارتمى عليه كما يرتمي الطفل في أحضان أمه الدافئة وأخذه البكاء إلى عوالم عديدة وهو يشعر في قلبه الخضوع و تداخلت موجات أخرى تخبره وتشعره أن هذا اليوم غير بقية الأيام فهو شديد البكاء هذا اليوم ولا يعلم هل هناك سر ؟ أو مفاجأة ؟ ...

بعد نوبة البكاء وتبلل وجهه بتراب قبر والده مسح ما أصاب عارضيه من التراب ونهض يملأ الماء في قنينة كبيرة ليروي بها قبر والده ملأها بالماء وعاد مسرعاً ناحية القبر ، عندها جلس القرفصاء يتلو ما حفظه من القرآن الكريم .

وفي لحظات خاطفة غادر أبو مشاري إلى عالم الذكريات يصطاد بعض القصص التي لن ينساها ما بقي الدهر فهناك قصة عالقة على أغصان ذاكرته يرتلها دائماً لأبنائه ويذكرهم ببطولة جدهم العظيم فلقد كان يروي أنه ذات يوم عندما كان صغيراً في عمر الثامنة وفي

هذا السن لا يزال الطفل وذاكرته تساعده في التذكر فلقد نضج قليلاً ،،، لما كان مصاباً بالحمى القرمزية وكان ذلك يتطلب العناية اللازمة الحريصة جلست والدة أبي مشاري بعناية تامة بجانبه ،،، ولما علم ما أصاب ابنه الأكبر أسرع والد أبي مشاري وقد أغلق محله التجاري الذي كان يبيع فيه الأقمشة وحمله على كتفه وفي ذلك الوقت كان الحصول على السيارة فيه صعوبة وأخذ والده يجري به في الأزقة وكان يئن من التعب ويهمس لولده لا تقلق سنصل وستكون في أحسن حالاتك يا ولدي وبعد مضي نصف ساعة تقريباً توقف لهما أحد الإخوان وحملهما إلى أحد المستشفيات القريبة .

عندها جرت الدموع على وجنتيه فهذه القصة واحدة من قصص لن ينساها ومن حق والده عليه أن لا ينساه مهما طال العمر وإنه ليتأسف على إخوانه أنهم هجروا والدهم الذي سقاهم من دمه ، حتى كبروا ونضجوا وصرف عليهم حتى كساهم وأطعمهم حتى شبعوا .

لما اقترب من نهاية الزيارة انتظر قليلاً واستعد للخروج ولّما أراد الانطلاق شعر بصوت يهمس في داخله ويحرضه على أن يزور بعض القبور لكنه لم يستمع لهذا النداء وعارض هذا الخاطر وأخذ يمشي الهوينى الهوينى متعالياً على ذلك الصوت لعلها وساوس شيطانية لا لا لم تكن كذلك ، كان يمشي بخشوع حتى ضربت رجله في أحد القبور وسقط على الأرض وجاءه النداء مرة أخرى وكأن قوة خفية تدفعه إلى البقاء وزيارة بقية القبور ، الحيرة علت وجه أبي مشاري وأصبح لا يدرك ما يفعله وكأنه غريب في ديار الغربة ...

عندها نهض واستجاب أخيراً لما يئن في خاطره واستعد ليتجه إلى بعض القبور بعد أن نفض التراب من على ثيابه ... شعر هنا أن هناك

بوصلة هي من توجه قدميه وكأن هناك قبوراً معينة تريده أن ينطلق إليها ولما شعر أن قدميه هما من تسيرانه استجاب للقدر وجلس عند أحد القبور يقرأ الفاتحة وعندما نهض أحس بنبضات قلبه تتسارع وشعر بألم القولون يقطع في أمعائه .

توجه ناحية القبر الثاني وجلس عنده وقرأ الفاتحة نهض وانتصب ظهره وشعر بالنبضات تتسارع أكثر وأكثر ووضع يده على قلبه لعلها تهدئ من ثورة تلك النبضات ولهيبها والألم في ازدياد أراد الخروج مسرعاً لكي لا يقع في حرج من ما قد يحدث له لكن قدميه رفضتا ذلك ونزع شماغه ووضعه على كتفه لأن جبينه أخذ يتصبب عرقاً فالشعور بالتعب و تسارع النبضات قد تكون دوافع لجعل الإنسان في حالة لا يتوقعها،،، مشى قليلاً ناحية القبر الثالث ولكنه تعثر، كيف لهذا اليوم وحالتي صعبة ضعيفة ماذا حدث ؟ أخذ يخاطب نفسه بملامة وعتاب..

لما اقترب من القبر الثالث أحس بالدوران وجلس عنده بعد شعوره بالإعياء والتعب وأخذ نفسه بالازدياد وألم بطنه بالتعنت والإصرار على مواصلة الألم ،،، قرأ الفاتحة سريعاً وسرعان ما أردف بعدها سورة الإخلاص كيف فعل هذا ؟ لم يحدث مثل هذا الأمر في القبور السابقة والسور تترادف بعضها خلف بعض ..

انتهى من القراءة ونهض متوجهاً ناحية باب المقبرة وهنا توقفت قدماه عن توجيهه واستعان بقوته للخروج ،، ولما أخذ بالدوران خلف القبر جاءه فضول لقراءة لمن هذا القبر الذي أعطاه ما لم يعطِ غيره من الوقوف والقراءة ،،، أخذ يقرأ اسم صاحب القبر وقد كتب عليه (مبارك عيسى الفاضلي الذي توفي في تاريخ ١٣/١٠/١٤٣٢) قطب حاجبيه وكأنه يفكر و يتذكر وأخذ نفساً من التفكير ، صرخ بأعلى

صوته كمن شاهد حادثاً أليماً لا لا لا مستحيييييل وأعاد القراءة من جديد وهو الاسم نفسه أخذ يجهش بالبكاء وها هي نوبة بكاء جديدة تعتلي وجهه ومحياه من جديد شعر بالدوران وكاد أن يغمى عليه لكنه تماسك، جلس بدون شعور على الأرض وأخذ يبكي ، وقف وكل الإدراكات التي يمتلكها قد رماها جانباً وأسرع ناحية سيارته وأدار مقودها وفي هذه الأثناء تناول جواله وبحث عن اسم (مبارك أبي فيصل) اتصل عليه و جاءه الصوت أن الجوال مغلق وزاد ألمه كمن أخذ سهماً ورماه ناحية قلبه .. وصل إلى منزل صديقه المخلص (أبي فيصل) ووقف أمامه والدموع تنساب على خده واعتدل في هيئته ولبس شماغه رن جرس الباب وبعد برهة من الوقت فتح الباب وإذا بفيصل وقد علت الصفرة وجهه في العقد الثاني من عمره عندما وقعت عين فيصل بعين أبي مشاري احتضن كل منهما الآخر وأخذا بالبكاء أمام الباب وعندها جاء (عبادي) وعمره ١٧ سنة يدرس في أحد معاهد اللغة الإنجليزية وحاول أن يهدئ من موجة الدموع والبكاء وأخذ أبو مشاري ينظر إلى فيصل وعبادي وقلبه يتمزق حرقة و في عيونه خجل و ندم وعتاب لا يدرك ولا يعلم وكل المعطيات تشوشت كشاشة تلفاز مشوشة لا يعرف من أين يبدأ وكيف يبدأ ...

دخل أبو مشاري غرفة الضيافة وجلس بالقرب منه فيصل على اليمين و عبادي على اليسار وكانت أمهما خلف الباب تسمع حديثهم وعبراتها تئن بالألم والفراق فراق زوجها وحاضنها و سندها في هذه الحياة فالزوجة دون زوجها كالشجرة بدون ماء لا تثمر وتموت مع تقادم الأيام ...

تكلم فيصل عن كيف أن المرض الخبيث الذي أصاب والده قد منعه فترة طويلة عن التحرك وأصبح هو و الفراش صديقين لا يتباعدان و

قد أكل الفراش من قوته و جسده لكنه ما زال يبتسم يعطي الأمل لأولاده في هذه الحياة ،،،، وكان وهو على هذه الحالة لا يفتأ يذكر صديقه المخلص أبا مشاري بالحسن وبالخير وكيف تكونت علاقتهما عندما كانا في سفرة إلى مصر للعلاج .

بعد هدوء تام ونظرات الألم تعلو الوجوه ابتسم أبو مشاري ابتسامة خاطفة وهو يرمق الأرض بناظريه وكأنه ينظر إلى شيء غريب ونظر إلى فيصل و الحزن جاث على قلبه و في عينيه انكسارات و شعور بالألم لفقد ذلك الصديق العزيز ، وبعد ذلك تطرق أبو مشاري لصداقتهما وكيف كانت مرتبطة بالحب الرباني والإخلاص وذكر أيضاً أن أبا فيصل ساهم في زواجه ومد له يد المساعدة في كل أموره .

وبعد كل هذه الذكريات قال أبو مشاري لقد كنت مخطئاً عندما نسيته ولم أقم بزيارته لفترة طويلة ولم أستطع الرد على اتصالاته فلقد ظلمته وأخذ يتألم ويشعر بإحساس الندم فكيف تكون بين يديه صداقة مثل هذه ويتركها على قارب الموت ؟ فهل يا ترى سيصفح صديقه عنه ؟ وكيف يعلم ذلك وهو تحت التراب ؟ ما هذا القلب الضعيف كيف وأين وماذا سيقول لأبناء صديقه ..

قام فيصل ودخل البيت ...و بعد برهة من الوقت عاد وفي يده مطوية، علت سحابة تعجب وجه أبي مشاري شعر أن هناك خطباً ما وناولها أبا مشاري وبعدها أنزل رأسه وأخذته العبرة وقال إن والدي كان يعلم أنك ستقدم يوماً من الأيام هنا فهو لم يذكر يوماً أنك تركته وجفوته فكان يذكرك بالخير وكتب لنا هذه الورقة وقال لا يفتحها غير أبي مشاري حتى لو بقيت قروناً طوالاً ..

آاه يا صديقي أشعر بالذنب يقذفني في النار الحاطمة وماذا سأفعل

أمام الملأ يوم القيامة عندما أراك ؟.. فتح أبو مشاري الورقة و قد كتب فيها بعد البسملة والسلام (صديقي العزيز أبا مشاري لقد كنت لي صديقاً مخلصاً وفيّاً في كل طرق الحياة وكنت لي نبتة أقطف منها الثمار الجميلة فصداقتنا أربت على ٢٢ عاماً فكل تلك الفترات مملوءة بالسعادة ومحفوفة بالتضحيات فلقد كانت صداقتنا رمزاً وشعاراً للإخلاص والصدق ، صديقي الغالي عندما تقرأ هذه الرسالة سأكون أنا تحت التراب ورصيد صداقتنا سأحمله معي ليكون لنا مدداً يوم القيامة ، صديقي العزيز هذان هما ابناك وهما أمانة عندك فولدي فيصل يشبهني تذكرني عندما تراه واحضنه ليشعر بالاطمئنان ، صديقي العزيز أستودعك الله وأنا سأكون بروحي معك وسأبقى رفيقاً لك فأنت أروع إنسان تعرفت عليه في حياتي ... صديقك المخلص أبو فيصل) احتضن أبو مشاري المطوية وأجهش بالبكاء وشعر بالتعب فهذا اليوم كثير البكاء وفوق كل هذا شعور بالذنب وإحساس بالهزيمة أمام إخلاص صديقه الذي لم ينسَه أوقات مرضه وعسره واحتضن فيصل وعبادي اللذين أيضاً تعالت أصواتهما بالبكاء ومن خلف الباب والدتهما الطيبة تنعى قلبها ونفسها لهذا الفقد العظيم ..

استأذن أبو مشاري للخروج وقبل ذلك أخبرهما أنه سيكون لهما أباً رحيماً وسيعوض ما اقترفته يداه لعل الله يغفر له ذنبه تجاه صديقه وقبل أن يخرج ناداه فيصل وقال له خذ هذه الصورة وعندما تناولها تذكر أول لحظة جمعت بينه وبين صديقه وكانت هذه الصورة خير شاهد على تلك اللحظات ،، خرج من منزل صديقه وسرعان ما توجه مرة أخرى إلى المقبرة ودخل مسرعاً وقبل التوجه إلى قبر صديقه عرج على قبر والده ، وتوجه بعد ذلك إلى قبر صديقه يستقي منه التضحيات و يتذكر الذكريات الجميلة و ينعى نفسه على فقد خير الأصدقاء .

دكتور على الطلب

جلس شهاب من النوم و شعر بتقلصات في بطنه وكأن شخصاً يقطع في أوصاله ، قبض عليه بشدة وشعر بالراحة قليلاً ، لكنه سرعان ما عاوده الألم و صرخ صرخة المستغيث وأخذ يتلوى على سريره ، أسرعت إليه والدته وفي وجهها علامات الدهشة لما حلّ بولدها الوحيد فقلب الأم أرق القلوب على أبنائها ، مدت يديها الحانيتين لتمسك به كي لا يسقط من على السرير ، أخذت رأسه ووضعته في حجرها وكأنه طفل صغير في فترة الفطام على الرغم من عمره الذي يبلغ ٢٧ سنة كان شابّاً قويّاً وسيماً وشعره يتدلى على كتفيه يعمل في إحدى الشركات .

بدأت تمسح على رأسه وتقرأ بعض السور القصار فتدفقت الراحة والسكينة على قلبه وسرعان ما فتر الألم قليلاً .

- قالت : ماذا حلّ بك يا ولدي ؟ ولمَ هذه الصرخة ؟ التي أذابت قلبي يا قلب أمك أنت وهي تنظر إليه وإلى وجهه الذي اكتسى صفرة وأزاحت شعره الطويل عن جبهته وعينيه .

- لا أعلم .. فجأة شعرت وكأن بطني يتقطع ويتناثر أشلاءً .

- قالت وهي تمسح بيدها على وجهه و العبرة ساكبة على محياها : اسم الله عليك يا ولدي يبدو أنك أكلت ليلة الأمس من أحد المطاعم !!. فهي تعرف أن شهاباً كثيراً ما يأكل من المطاعم .

- لا يا أمي لم آكل لكن لا أعلم ما السر في هذه الآلام فهي تأتي على فترات متقطعة .

- إذاً انهض واذهب إلى المستشفى لتأخذ العلاج المناسب قالتها بنبرة الأمر و هي تشد على كلماتها لكي يمتثل لكلامها .

أغمض عينيه وبانت عليه علامات الرفض لأنه يكره الذهاب إلى المستشفيات وقال لأمه: لن أحتاج إلى المستشفى فيكفي تناول (المُرّة)... بانت بشائر الرضا عليها و ذهبت لتأتي بها .

أسند ظهره على الجدار المحاذي لسريره و أدار أسطوانة الموسيقى و بدأ ينصت إليها بكل هدوء و اتكأ برأسه على الجدار وأغمض عينيه وأسدل يديه ليبدأ عملية الاسترخاء و الذوبان في تلك الأجواء اللطيفة التي لم تدم طويلاً حتى عاوده الألم من جديد .

- دخلت عليه والدته وناولته إياها فمضغها في فمه وشرب بعدها الماء ورمى برأسه على الوسادة ودثرته و غط في نوم عميق .

كان ذلك يوم خميس ، جلس بعد الظهر و الابتسامة على محياه واستعاد نشاطه و شبابه وغيّر ملابسه واستعد للخروج وقبل الخروج ذهب إلى غرفة والدته وسلم عليها وقبّل رأسها وقالت أين ستذهب ؟ يا قرة عيني وثمرة فؤادي

- سأذهب مع الشباب يا أجمل أم تراها عيني في الحياة .

- قالت وفي صوتها غصة واضحة : تسلم عيونك يا ولدي وكل ما أريده أن أراك مرتاح البال صحيح العافية فأنت الوحيد في حياتي بعد رحيل والدك وأتمنى أن أشاهدك دوماً مبتسماً ..

- استطردت قائلة إذا كان لي شأن عندك يا ولدي فاذهب إلى المستشفى ليطمئن فؤادي عليك .

- قال غالية والطلب رخيص و مشانك يا أغلى أم رايح أروح وأنت أكثر وحدة تعرفي أنه لا مزاج لي للمستشفيات لأنّ جلّها تديرها شركات وغالبية طواقمها الطبية تفتقد الكفاءة الجيدة .

- لا بأس يا ولدي ليست كل المستشفيات ، هناك مستشفيات ممتازة أنت روح فيها وأرجوك لا ترد لي طلباً .

- أعدك يا ماما الليلة أروح المستشفى بس الحين أستأذنك .

- الله معك يا ولدي ولا تتعب حالك .

- ضحك وقال : إن شاء الله يا أحلى أم في الوجود .

أسدل الليل ستاره وفي تمام الساعة العاشرة وبعد تناوله وجبة العشاء مع والدته وتنظيفه للأواني وترتيب المنزل فهو دوماً يقوم بمساعدة أمه في شؤون البيت وترتيبه ولا يخجل من عمل كل هذا بما أن فيه رضا والدته حتى إن بعض أصدقائه اقترح عليه أن يجلب خادمة للبيت فرفض ذلك وأراد أن يكون هو من يخدم والدته بيديه .

انطلق إلى المستشفى العام في المنطقة ولم تخلُ تلك اللحظات من التفكير في ما سيؤول إليه أمره في هذا المستشفى ، وصل إلى المستشفى وركن سيارته في موقف بعيد جدّاً لأنه لم يرَ موقفاً بسبب ازدحام السيارات .

دخل الطوارئ ورأى الهول الأعظم وكأن الناس يتصارعون لشرب الماء من شدة الظمأ ولكي يخفف صدمته سأل السيكورتي الموجود هناك عن هذا الازدحام فأجابه بكل برود أنهم مرضى جاؤوا للعلاج ، علت وجهه ابتسامة ساخرة ونظرة مشمئزة من هذا المنظر وانتظر بعيداً يراقب المنظر و استند على الجدار و انتظر حتى يخف الزحام و ذهب لأخذ ورقة للدخول على الطبيب .

توقف عند عيادة الباطنية ورأى العشرات من المراجعين مكتظين ومتجمهرين على تلك العيادة ومن يدخل العيادة هو من يملك الجرأة حيث لا ترتيب ولا تنظيم في الدخول هناك النساء تنتظر بجانب الرجال بسبب الحالة المستعصية فالمنظر أشبه بسوق شعبي .

ظل صامتاً لفترة طويلة يعاين المرضى والناس و وضع المستشفى الذي لم يكترث لهؤلاء الجموع فما الضير لو فتحت عيادتان باطنيتان لاستقبال المراجعين وتم تطوير الاستقبال وتوسيعه من أجل تخفيف الازدحام فالمستشفيات الخاصة ميزانيتها لا تصل إلى ميزانية الحكومة لا بد من تطوير المستشفيات لتخفيف الازدحام فعدد المراجعين يزداد و التعداد السكاني يتضخم لهذا منطقتنا تحتاج إلى مثل تلك الدور العلاجية لتخفيف ازدحام الناس وتقديم أفضل الخدمات بشكل يتناسب وحالة المستشفى .

في ظل تراكم الأفكار والأسئلة توجه شهاب إلى غرفة ملاحظة الرجال ليشبع فضوله .. رأى الأسرة متسخة والدماء منتشرة على جوانبها والمرضى مزدحمين و بعضهم لا يوجد لهم أسرة و الممرض لا يعرف ماذا يفعل فهو وحده في الملاحظة والحالة جدّاً صعبة وكأنه في مسلخ .

ترك الغرفة وبعد أن خف الازدحام دخل العيادة التي يوجد فيها طبيب من جنسية آسيوية اكتشف ذلك من خلال لغتة ...جلس على الكرسي ... و ساق نظره إلى الطبيب

- إني أشعر بألم في بطني يأتيني فجأة على فترات متقطعة ... هز الطبيب رأسه و تكلم مع الممرضة ... بعدها ناولته فيفادول وبروفين.

لم يستغرب شهاب من العلاج فأغلب العلاجات لجميع الأمراض وحتى كسور العظام هي الفيفادول و الذي صنع الفيفادول أنقذ هؤلاء الأطباء من كارثة علمية محتملة ورمى العلاج في أقرب سلة مهملات بعد خروجه من العيادة وهو يشعر بالندم لأنه أضاع وقته في القدوم إلى هذا المستشفى حتى الطبيب لم يكلف نفسه وضع سماعته على بطنه لكن هذا الواقع المرير .

وصل شهاب إلى المنزل وكانت في استقباله والدته التي كانت تنتظره منذ خروجه من المنزل قبّل يدها ورأسها وقالت له طمني يا ولدي ؟

- قال لها بتهكم : كالعادة فيفادول و بروفين .

- إن شاء الله بطنك أحسن الحين يا ولدي وهي تمعن النظر فيه.

- إن شاء الله أحسن ولا تخافي يا أمي فأنت تعرفينني جيداً ما أثق في علاجات المستشفيات هذه وإن شاء الله بكرا أروح لمستشفى خاص مشان ياخذ أشعة وأتطمن أكثر وأكثر على صحتي .

- الله يعطيك ألف عافية يا ولدي على فكرة يا ولدي ترى ماسورة الماي في المطبخ تسرب ماي وحاولت معها لكن ما عرفت واضطريت أغلق الماي من المحول لهذا شوف سباك جيد غير ذاك الأولي الي عفس الدعوة علينا .

- خلاص يا أمي أنا عندي رقم سباك هندي أعطاني إياه صديقي وليد و بكرا أتصل عليه وكلي أنا فدوى لك يا أجمل وأروع أم في الحياة.

في اليوم التالي اتصل على السباك واتفق معه على الوقت المناسب ... انتظره أمام المنزل وأطل السباك بعدته الخاصة بالسباكة ولباسه الأزرق وقبعته السوداء .

ولّما اقترب السباك صُدم بصدمة جمدت الدم في عروقه... هل أنا أحلم ؟ هل أنا على قيد الحياة ؟ ماذا يحدث أمامي ؟ ماذا يفعل بي ؟ كاد أن ينفجر غيظاً حيث من رآه هو نفسه الذي شاهده ليلة أمس في العيادة .

فقير سيئ الحظ

استيقظ أبو خالد من النوم و الفرح يداعب أحاسيسه .

استقبلته زوجته بتقطيب الحاجبين و لهاث أنفاسها التي تكاد تحرق وجهه وهي تتذمر

- قالت له : خير إن شاء الله ؟ وهي تنظر إليه نظرات استهجان

- أووووص يا حرمة ... حلمت حلماً أتمنى أن يكون حقيقة وواقعاً .. قولي آمين

- آمين على كل حال بس لا يكون حالم بكنز أو حالم أن اليوم بناكل لحم ؟ وكأنها وجهت سهامها القاتلة إلى قلبه المسكين

- لم يبالِ بهذه السهام السامة التي توجهها زوجته كل يوم إلى قلبه وكأنها تريد أن تقتله من الحسرة و الفقر ... فهو يعلم أنّ زوجته لا تبالي سوى بنفسها ... قال : حلمت أني حصلت على ٥٠٠ ريال و أن حياتنا صارت أفضل وأكلنا اللحم و فعلنا كل شيء .

- ها ها ها ها : أضغاث أحلام وأنصحك لا تحلم هذه الأحلام ترى قلبك ضعيف ولا يتحمل ... اصح يا رجل ترى الدنيا صغيرة و نعرف حالنا خليك صاحي ولا تخرف يا زوجي العزيز ..

- نظر إليها شزراً وهز رأسه و أيقن أن هذه المرأة أصابها اليأس والقنوط ... قال بصوت يعلوه الثقة و الإصرار : إن شاء الله حلمي بيتحقق وبشتري لكم لحم وملابس للعيال بس أنت لا تستعجلي

– قالت : أقول قوم صل وبعدها جهز حالك أو ما يحتاج تجهز حالك أنت كذا جاهز أصلاً ما عندنا شيء نجهزه وكل يوم على هالحال لا تخلي أعصابي تفلت عليك تراني صبرت بما فيه الكفاية على وعودك...

أغمض عينيه و مسح بيده على وجهه وما زالت تكسر من مجاديف أمله لكنه أبحر في غمضته لكي يشجع نفسه وحواسه ليعود يوماً من الأيام بشيء يرضي هؤلاء الأطفال الذين ينتظرون من والدهم كل ما يعينهم على عواصف الحياة و مزالقها الظلماء التي أصبح الفقير بسببها مشلولاً من المساعدات و النظرات القاسية توجع القلب و تذبله كالتفاحة الذابلة .

نهض من على السرير و نهضت همته الراسخة في سواعده المفتولة القوية إنه الإحساس بالمسؤولية و اليقين برحمة الله .. توضأ وأجلس أبناءه الثلاثة من النوم وتقدمهم للصلاة .. علم أبناءه على هذه العادة، ينامون باكراً لكي يقيموا صلاة الصبح في وقتها وبهذا الجدول المتزن ورغم فقرهم المدقع إلا أن أبناءه متفوقون في دراستهم الأكاديمية ودائماً ينالون شهادات الشكر والثناء من قبل إدارة المدرسة .

جلسوا جميعاً بعد الصلاة يقرؤون شيئاً من القرآن الكريم والأب جهّز نفسه للخروج باحثاً عن عمل والأم في المطبخ تجهز الإفطار الذي لم يتجاوز ٥ أكواب من الحليب و رغيفين من خبز البر الذي تبقى من ليلة أمس والأم تنظر إلى زوجها المسكين بنظرة ساخرة وكأنها فجأة تذكرت حلم ٥٠٠ ريال وعلت وجهها ابتسامة ازدراء .

كانت فكرة أبي خالد للعمل في هذا اليوم الذهاب لغسيل السيارات رغم أنه سعودي وقليل من السعوديين يغسلون السيارات فهذه الوظيفة تكفّل بها العامل الأجنبي ويجني منها الكثير من الأموال لكن أبا خالد

كسر هذا التحدي والحاجز المرعب .. فالعمل الشريف الذي لا يوجد فيه معصية لله هو خير من الرشاوى و السرقات وخير من مد اليد للآخرين أو التسول في الطرقات فما أجمل العيش بلقمة الحلال .

انطلق إلى مواقف سيارات مستشفى الأمير جلوي كان يرتدي بدلة امتزجت فيها الخيوط الخضراء و الصفراء مع رسمة لشجرة و حولها مياه و سروال كحلي .. ربط غترته على رأسه وأخذ سطل الماء في يده يبحث عن سيارة .

ملامحه القاسية صنعتها الحياة القاسية كجلمود صخر على وجهه و أصبح لا يبتسم حتى يبتسم له نعيم الحياة .. عارضه الذي نبتت فيه شعيرات بيضاء توزعت حتى تصلبت على خده وبشرته السمراء و ضخامة يديه ، لم يبالِ بما قد يحدث من تذمر البعض وقد يكون محط استهزاء أو سخط أحدهم لكنه أعطى الثقة لقلبه و روحه .

بدأ البحث عن رزقه ولن يأخذ الإنسان إلا رزقه الذي كتبه الله له فالله تكفل برزق مخلوقاته فهو خالقهم و رازقهم وليس من العدل أن يخلق الله كل هذه المخلوقات و لا يوجد لها رزقاً فهو العالم بكل شيء أعطى هذا لحكمة و منع هذا لحكمة فسبحان الله أحسن الخالقين ...

لبسه التعب جراء البحث و الحسرة النادمة تقطع قلبه فالمراجعون لا نية لهم في الغسيل .. رباه رحماك ارزقني من حلالك الطيب الطاهر أنت القادر على كل شيء .

تحت لهيب الشمس تذكر صرخات أبنائه بطلبهم أن يأكلوا لحماً ... خيّم اليأس عليه وراح يستريح قليلاً تحت مظلة أحد المنازل المجاورة ، بينما العمال الأجانب حزموا أمتعتهم وانتقلوا إلى مستشفى آخر فهم

يعملون عمّال نظافة في الصباح وفي العصر يغسلون السيارات وفي الليل يعملون في أحد المتاجر مما يكسبون به راتباً يفوق ما يتقاضاه السعودي. هكذا هي الحياة لا مناص من عقابها و لا مفر من أزماتها الكل يبحث عن المال ليشبع بطون أبنائه ويستر على حاله فهناك أغنياء يلبسون لباس الفقر لتتضخم أموالهم وهناك فقراء متعففون يريدون فقط الستر وشتان بين هذا وهذا .

رأى من بعيد سيارة مرسيدس فارهة موديل ٢٠١١ لونها أسود .. بدأت الأفكار والأحلام في رأسه و رتّب أمنياته على هذه السيارة لعل الذي فيها يكون فاتحة خير .

اقتربت السيارة من أحد المواقف وركنها صاحبها فيه ، أسرع إليه و اضعاً يده على رأسه وكأنه يريد اصطياد فريسة و رغم أنه الوحيد في المنطقة فالعمال تركوا الموقع لكن الخوف و الهاجس أصبح هستيريا لديه فهناك أبناء ينتظرون وزوجة لجوج تنتظر .

فتح صاحب السيارة الباب وكان رجلاً يبلغ من العمر ٥٧ عاماً لكنه ما زال محتفظاً بأناقته وهدوئه و كأنه شاب في العشرينيات .

- اقترب أبو خالد من صاحب السيارة و بكل هدوء واستغاثة : السلام عليكم

- عليكم السلام ورحمة الله .

- أغسل سيارتك يا طويل العمر ؟ وهو يشعر بالخوف من صاحب السيارة .

- ابتسم صاحب السيارة ونظر إليه نظرة هادئة تحمل فيها العطف على هذا الرجل وقال أنا ماني طويل العمر.

- قال أبو خالد : أعتذر يا أستاذ .

- ابتسم صاحب السيارة مرة ثانية وقال : السيارة نظيفة ما يحتاج أكلّف عليك

- حنى أبو خالد رأسه وكأنه يعتذر بالطريقة الصينية وهمّ بالمغادرة

- وإذا بصاحب السيارة يقبض على يد أبي خالد ويقول له : أول مرة أشوف سعودي يغسل السيارات !!!؟

- قال أبو خالد والحزن منسكب على لسانه و الفقر يفوح من كلماته: والله الحاجة يا أستاذ .

- لم يشأ صاحب السيارة أن يعلم الكثير خوفاً من جرح إحساسه و تعففه و قال : ما عليه غسلها ونظفها جيداً والسيارة أمانة في يدك .

- ابتسم أبو خالد وتهللت أسارير وجهه .

بدأ في غسيل السيارة وهو يشدو ويغني من شدة الفرح وفي هذه الأثناء غزت مخيلته عشرات الأفكار و الأمنيات الجليلة الناعمة الدافئة ... آاه كم بيعطيني ؟ ليه تفكر في هذا السؤال ؟ يا أخي مجرد تفكير الله يرحم والديك تتوقع ٢٠ ريالاً مثلاً ،، لا لا ما أعتقد ،،، أعتقد ٥٠ ريالاً ،،، ليه ٥٠ مرة وحدة ؟ طيب تتوقع كم يعني ؟ والله ما أدري ،،، طيب قول أي مبلغ مثلاً خلني أفرح ،، ٥٠٠ ريال ،،، توقف عن الغسيل فجأة وحط يده على قلبه وقال الله يلعن إبليس على هالتفكير والله الفلوس تعور القلب فالأفضل لي أن أتجاهل التفكير في الفلوس ... عاد ليطرب نفسه وفي أثناء الغسيل لم يرَ خدشاً واحداً فيها ولم يرَ أي غبار و استغرب كيف طلب مني أن أغسلها ؟ يمكن يبي يحافظ عليها .. كل شيء ممكن ، ما شاء الله هؤلاء الأغنياء ما يعرفوا يتصرفوا في أموالهم و يصرفوها في

أشياء غريبة ، طيب يا بو خالد يمكن عرف أنك فقير ويريد مساعدتك ... انتصب ظهره وأخذ ينظر نظرات بعيدة فيها التأمل ... طيب إذا الأمر بهذا المفهوم بوقف عن الغسيل لا لا لا كيف توقف عن الغسيل وهو أعطاك مفتاح السيارة ووثق فيك وأنت تعمل عملاً ولازم له مقابل ما بيعطيك صدقة وأنت عارف هالشيء يا رباه على هالتفكير والله هالتفكير بيذبحني خلني أغسلها و أخلص أحسن لي .

مرت تقريباً ٤٤ دقيقة وإذا بصاحب السيارة أقبل ناحية أبي خالد و طبعاً أبو خالد انتهى من الغسيل وانتظر جنبها

- نظر صاحب السيارة إلى السيارة وقال ما شاء الله ... نظيفة .

- شكراً شكراً لك و هو واضع يده على صدره و يمسح يده في سرواله.

- أخرج صاحب السيارة محفظته وأخرج منها قطعة من المال وناولها أبا خالد ... تفضل هذا نصيبك .

- أخذها وإذا هي ٥٠٠ ريال شعر بألم في أمعائه وقلبه هل هذا الرجل في عقله ليعطيني المبلغ هذا كله ؟ لا .. يمكن يريد أن أرجع الباقي مثلاً ؟ يا ربي رحماك ... ابتسم أبو خالد وقال ما عندي فكّة يا أستاذ وأنت تدري عن حالتي الصعبة و الحين ما فيه محلات قريبة من هنا ولا أعرف محلّاً يفك مثل هالمبلغ .

- ضحك صاحب السيارة عالياً وقال بكل هدوء وثقة هذه كلها لك يا عم .

- أم لأ أششش ووأأ تلعثم في الكلام و أخذت حروفه تتقطع ... صصصيررر لأ لأ

- أمسكه صاحب السيارة ونفخ في وجهه أف أف أف أف حتى أفاق

من ذهوله وقال له صاحب السيارة أنا الحين أخليك وهالمبلغ حلال عليك .

غادر صاحب السيارة المكان وأبو خالد جلس ينظر في الـ ٥٠٠ ريال يبحث عن ذاته و الحقيقة بعد أن أعياه التعب جلس على الأرض بدون شعور وكأنه عثر على كنز ثمين وأخيراً تحقق حلمه و الآن سأعود إلى المنزل وأخبر زوجتي .

دخل المنزل يتراقص كالموج في البحر من شدة الفرح والابتهاج بهذا النصر الذي سيمنحه العطاء والسعادة وأيضاً ما زالت علامات الغرابة متكورة في وجهه لكنه تحدى كل الصعوبات ليعلن فرحته .

دخل على زوجته في المطبخ وقالت له بتذمر : شفيك فرحان اليوم مو على بعضك ؟

ابتسم وهز حاجبيه واقترب من كتفها ونظر إلى وجهها .

- قالت له بشدة اترك عنك هالحركات وتكلم .

- قال لها الحلم الحلم الحلـــــم

- هاهاها انطلقت الضحكات من زوجته بتهكم واستهجان ... لم يبالِ بتصرفاتها التي أدمن عليها وسرعان ما أخرج قطعة الـ ٥٠٠ ريال من جيبه ووضعها أمام عينيها

عندما رأتها تركت كل ما في يدها ، أخذتها بيدها وصرخت بأعلى صوتها حتى جاء الأولاد خائفين مذعورين ورأوا أمهم في أعلى ابتسامتها وتدور بقطعة الـ ٥٠٠ والأب ينظر إليها وهو مبتسم ونظر إلى أولاده وناداهم وأخبرهم بالموضوع كاملاً وعلتهم ابتسامة وفرحة واجتمعوا جميعهم في المطبخ وبعد انتهاء الاحتفال بالخمسمائة جلسوا جميعاً على

الغداء المكون من صحن أرز وفوقه بيضتان مسلوقتان و بصل أمريكي وليمون حساوي والفرحة تغمرهم و يفكرون ماذا سيفعلون بها .

خرج أبو خالد من المنزل بعد العصر وفي تمام الساعة الرابعة بعد أن أخذ فترة راحة بالنوم وهذه المرة الأولى التي ينام فيها بعد الغداء لأنه في بقية الأيام يخرج مباشرة للعمل لكنه وبعد أن تحقق حلمه في الـ ٥٠٠ ريال لا بد أن يرتاح قليلاً من لأواء العيش و سقمه .

وصل عند البقالة المجاورة لمنزلهم حيث العامل الأجنبي يعمل فيها بعد التحية والسلام مد أبو خالد ورقة الخمسمائة للهندي الذي علت وجهه غرابة واستغراب وذهول وقال في نفسه كيف هذا فقير سعودي يجيب كل هذا مبلغ ؟

- قال له أبو خالد : ممكن تصرف لي هذه القطعة ؟

- العامل استغرب وشك في الموضوع وخاف أن تكون مزورة ... رد عليه قائلاً : لا بابا ما في هذا مبلغ واجد كبير .

خرج من البقالة واتجه إلى بقالة أخرى ونفس الكلام وحاول مراراً وتكراراً أن يصرفها في أكثر من بقالة لكن لم يجد سبيلاً و مخرجاً لها.

اقتربت الشمس من الغروب وحل الليل ولم يستطع أن يصرفها ... دخل المسجد يتوضأ و بعد الوضوء تحسس الخمسمائة في جيبه السفلي وبعد أن استقر قلبه واطمأن على المبلغ دخل المسجد للصلاة وجلس بالقرب منه أحد الشباب ينتظر الإمام وبعدها أقيمت الصلاة و في أثناء الصلاة كان كل تفكيره في الـ ٥٠٠ خوفاً من أن يفقدها و تمنى أن يسرع الإمام في الصلاة لكي يطمئن على المبلغ وبالفعل انتهت الصلاة

.. لكنه نسي أن يتحسس الخمسمائة لأنه أخذ يتحدث مع فلان وفلان ويضحك مع فلان .

بعدها ذهب إلى المنزل للعشاء وعندما دخل المنزل وسألته زوجته ماذا فعلت ؟ أووه تصدقي نسيت أصرفها بعد الصلاة وهذه هي في جيبي ... وضع يداً في جيبه ووضع الأخرى على قلبه زاد تنفسه لا لا لا ما يصير ... سقط مغمىً عليه وحملته سيارة الإسعاف إلى مستشفى الأمير جلوي ...

مغامرة في الهند

كنت لاعباً متميزاً معروفاً بالقوة الجسمانية لأني أرفع الأثقال الحديدية في فترة من فترات عمري فزملائي نصحوني بذلك لما له من تأثير إيجابي على صحة الجسم .

ذات يوم كنا نلعب وكانت أرضية الملعب شبه صلبةً لأننا لا نملك القدرة على زراعة العشب فإمكانياتنا قليلة ، كانت هناك لحظة اشتراك بيني وبين أحد الزملاء ، قفزت و قفز زميلي لالتقاط الكرة كما تلتقط الهرة العصفور و نجحت في إبعادها عنه و بعدها لم أتوقع ماذا سيحدث وفقدت توازني و سقطت على الأرض ، لم أجد غير يدي اليسرى أستند عليها ، ارتكز كامل جسمي عليها وشعرت كأن عظمة من يدي تكاد أن تخرج من المفصل و شعرت بألم شديد وكأن منشاراً يقطع في الحديد.

جاء الزملاء للاطمئنان على حالتي ، وضع الماء البارد عليها شعرت بتحسن ولكن هذا لم يمنعني من ترك الملعب وأكملت اللعب بعد اعتراض الكثيرين على هذا القرار الذي رأوا فيه مخاطرة على صحتي لكني لم أعرهم أي أذن صاغية .

بعد الانتهاء من التدريب وصلت إلى بيت والدي عاود الألم من جديد في يدي ، ولم أرغب في أن يعرفا ما أصابني فأخفيته عليهما لكي لا يصابا بالخوف ومضت الأيام ونسيت الألم وعشت أيامي طبيعية وكأن شيئاً لم يحدث .

بعد ثلاث سنوات من العام ١٤٠٢ هـ اقترنت ببنت عمي فزواجي مثالٌ يحتذى به كان أسطوريّاً في تلك الأيام الماضية فالعادات التي كانت تمارس في أفراح الزواجات تسعد أبناء القرية و تستمر الاحتفالات ثلاثة أيام مع جميع الوجبات ما عدا الإفطار أما في هذا الزمان فأصبح الاحتفال بالزواج مجرد احتفال لا طعم له ولا لذة وكأن شيئاً لم يكن .

بعد سنة عاد ألم يدي من جديد ، سمعت من أحد الزملاء عن دكتور هندي كان يسمى في ذلك الوقت بملك العظام اسمه (ديلوكي) كان معروفاً بخبرته الكبيرة في مجال العظام وكان متنقلاً من دولة إلى أخرى ليفيض عليهم من علمه وليعالج كسورهم ونقصان عظامهم فيذهب معالجاً وكأنه لا يوجد في العالم غيره .

عزمت بيني وبين نفسي على الذهاب إلى هذا الدكتور لكي أجد حلّاً نهائيّاً لتلك الآلام والتي لا تأتي إلا وقت أفراحي وكأنها تغار من سعادتي و أنسي ...

رزقت بمولودة جميلة كفلقة قمر و ذات يوم أخبرت زوجتي أني عازم على السفر إلى الهند بقصد العلاج .

- قالت : ستسافر وحدك ؟ و علتها علامات الحزن و الانكسار .

- أجبتها : نعم يا عزيزتي وإن شاء الله لن تطول الرحلة

- قالت : ما زلنا في بداية زواجنا وأنت تعلم مدى احتياجي إليك في هذه الفترة

- قلت لها بهدوء : عزيزتي مثل ما قلت لك لن تطول رحلتي إن شاء الله وأنت أكثر شخص يعرف الآلام التي أصابت يدي و كوني على يقين أنني سأتصل يوميّاً لأسلم عليكم ولا يعتريك أي قلق .

- قالت وهي مترددة : لماذا لا تجرب العلاج هنا ؟

- قلت بكل ثقة : أنا سمعت عن هذا الدكتور ، وأخشى أن لا أجد العلاج المناسب هنا .

صمتت وهي تنظر ناحيتي وفي عينيها حسرات ودموع مسجونة تنتظر حريتها ، لفحها الحزن وانسابت قطرات من الدموع خارجة من أغوار قلبها تلقتها رموشها حتى بللتها كقطرات الندى تبلل بتلات الزهور ، على أكتافها ابنتي الحبيبة وأخذت تنظر إليها وكأنها تقول لي بصمت هل تستطيع أن تسافر دون ابنتك ؟ احتضنتها وطفلتي وأخذت بالبكاء وكنت حينها ذابلاً منكسراً لفراقهما .

- قالت وصوتها يتهدج منكسراً من أعماقها حتى شعرت وكأن هذا الصوت ينساب على أوردة قلبي المضرج بالألم ... الله معك يا زوجي والله يحميك من كل سوء .

ودّعت زوجتي وابنتي و استعددتُ للسفر وأخذت معي بعض الأمتعة الضرورية التي تناسب اللبس الرسمي في الهند ولم تنسَ زوجتي أن تضع لي تمر الإخلاص .

أقلعت بنا الطائرة وأنا وحيد في هذه الرحلة لا صديق معي ولا معين فكانت أول رحلة أغادر فيها وحدي وكان عمري لا يتجاوز ٢٢ عاماً آنذاك صحيح أنني لم أشعر بالخوف لأني أملك اللغة الإنجليزية التي تعلمتها من شركة أرامكو ولكن كنت أفكر في ابنتي وزوجتي طوال تلك الرحلة وسرحت مخيلتي عن كيف وماذا سأفعل هناك وأنا لا أعلم الطرقات ولا دليلها لكني تركت هذا التصور لكي لا أشغل نفسي أكثر و أتعبها معها في التفكير .. لكن وحدتي لم تدم طويلاً نعم يا إخوان لم تدم طويلاً ،

قادتني المصادفة إلى التعرف على أشخاص في الرحلة وكانوا مرحين لأبعد الحدود.

نسيت مسافة الطريق لقد شغلوا وقتنا بمرحهم و أسلوبهم في الحديث الشائق و نثروا البهجة والسرور في أرجاء الطائرة وحمدت الله لوجودهم بقربي وشعرت أن هذا أول التوافيق الإلهية لتسهيل رحلتي المكللة بالمغامرة الرائعة التي لن أنساها طوال حياتي .

وصلنا إلى مطار بومباي وعند بوابة الطائرة افترقنا فذهب الأصدقاء وكان عددهم أربعة إلى وجهتهم وذهبت أنا إلى وجهتي بعد أن توادعنا وكلنا أمل في اللقاء مرة أخرى و ربّ مصادفة خير من ألف ميعاد .

صعدت في سيارة الأجرة المشهورة في الهند والتي يطلق عليها (نانو) و لحسن الحظ أن السائق كان يجيد اللغة الإنجليزية .

أخبرته أن وجهتي إلى فندق سمارت هوتيل . فاجأني جوابه السريع وقال إن الفندق هذا لا يوجد فيه غرف شاغرة وأخذ يطرح كل ما هو سيئ في الفندق ولحسن نيتي صدقت هذا الرجل المعتوه وأعطيته الصلاحية الكاملة ليختار لي فندقاً مناسباً ، حتى انطلق بي في أزقة كثيرة في مدينة بندرا حيث كانت إقامتي طوال الـ ١٣ يوماً في هذه المدينة وصلنا إلى فندق ريفيرا وكان مظهره الخارجي يوحي بالفخامة لكن عندما دخلت إحدى غرفه رأيت المصائب والهوايل لم أبقَ فيه سوى ساعتين فقط لأني لم أحتمل بشاعة المناظر التي فيه ومستوى الخدمة المقدمة حتى كادت رئتي تنفجر من الروائح .

انتقلت بعد ذلك إلى فندق آخر اسمه (سكنيق) وفي هذا الفندق التقيت بالأصدقاء الأربعة الذين كانوا معي في رحلة الطيران و سعدت

كثيراً وشعرت أيضاً أن التوافيق الالهية هيأت لي كل السبل لكي أكون سعيداً ..

جلسنا في الفندق ما يقارب يوماً واحداً فقط وقد أخبرتهم عن فندق سمارت هوتيل وانطلقنا لنعرف الحقيقة ووجدنا أن الفندق أفضل مما تصورنا ولم يكن صاحب النانو سوى سمسار لذلك الفندق الأرعن.. حملنا أمتعتنا وانطلقنا إلى السكن الجديد الذي أقمنا فيه بقية الرحلة.

أقمت في الدور الأرضي في غرفة رقم ٢ كان سمارت هوتيل رائعاً وجميلاً جدّاً ، فغالبية الشعب الهندي مخلص وصادق و كريم ولله الحمد على رغم تعدد دياناته و لغاته .

غمرتنا طول الفترة الراحة والسعادة حتى وضعنا لنا جدولاً سياحيّاً وأتذكر أني لم أنفق أكثر من ٥٠٠٠ ريال سعودي على تلك الرحلة التي سادت فيها المتعة والبهجة وتنقلنا في مناطق كثيرة كحديقة الحيوانات ومطعم دلبار في مدينة كلابا بجانب بوابة الهند وتاج محل وغيرها من المناطق والآثار وكانت أفضل وجبة أكلتها برياني لحم وجمبري على الفحم ، و أغرمت كثيراً بهاتين الأكلتين وكأنني لأول مرة أتذوق الأكل فأنتم تعلمون مذاق البهارات الهندية و عندما تذهبون إلى هناك ستجدون كل اللذة الحقيقية ، و انطلقنا إلى الأسواق لشراء ما تطيب به خواطر النساء .

المفاجأة التي حدثت ولم أتوقعها و التي كدتُ أن أفقد لباب عقلي بسببها.. عندما ذهبت إلى المستشفى الذي يوجد فيه الدكتور ديلوكي ، رأيت العجب العجاب وكأن جميع شعب الهند مريض فهناك من يشتكي من ركبته وأصابعه وظهره وبعضهم جاء لكي يتيقن من أنه غير مريض

في العظام وممرضات يتطايرن بمريض قد شج رأسه وأطباء يتكلمون باللغة الهندية وجاءني شعور هل هم فعلاً يفهمون لغتهم أم مجرد تعصب للغة وأردت أن أحسب كم كلمة تقال في الدقيقة وعجزت عن ذلك وذهبت بعدها إلى مكان الاستقبال الذي توجد خلفه امرأة ، سألتها عن الدكتور ديلوكي ... فرفعت السماعة ونظرت ناحيتي بابتسامة نكراء خبيثة وقالت بكل ثقة ولم تراعِ مشاعري و سفري ووحدتي و عنائي و المبالغ التي صرفتها .. الدكتورَ ديلوكي غير موجود في الهند حاليّاً .

اعتراني الذهول والحزن والكمد وماذا تراني فاعلاً ؟ تركت زوجتي وابنتي وخسرت كل تلك المبالغ من أجل هذا الدكتور وفي نهاية المطاف لا أجده ؟ كيف ستقتنع زوجتي بذلك ؟ ولو أقنعتها فكيف سأقنع أمي وأبي ؟ ماذا أفعل هل أقيم بقية حياتي في الهند خوفاً من الغضب الذي ينتظرني هناك آاه مستحيل ذلك ... أرجوك أخبرهم بكل التفاصيل ولا يعترك الخوف وسوف يتفهمون موقفك ... فأنا قصدت العلاج فقط ولمَ أقصد شيئاً آخر والهدايا التي اشتريتها لهم كفيلة بإقناعهم والرضا التام عن قصتي .

عدت إلى وطني ومنذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا لم أراجع أي طبيب بخصوص يدي و الآلام قد هجرت يدي تلقائيّاً وهذه بعض آثار السقوط و أشار إليها و نحن استمتعنا بالقصة و بالوقت الذي جلسنا فيه مع أبي شاكر .

الحلم الجنائي

افترشا المائدة و جلسا متقابلين وكأنهما في مقابلة تلفزيونية .

بابتسامة خجلة ... حدّقت فيه بعين مليئة بالأنوثة الرقيقة المتوهجة افتخاراً بزوجها الكاتب الذي غطت سمعته ومكانته أرجاء المجتمع و قدّم الكثير لأجل بناء مجتمع متكامل من خلال كتاباته و رواياته وقصصه .

- سألته : ما آخر كتاباتك يا عزيز قلبي ؟ وقد غمزت إليه برموشها الطويلة وما زالت ابتسامتها متوقدة .

- ابتسم في وجل و في يده ملعقة حساء بالخضار وبعد تناولها أجابها بكل هدوء وثقة وقد احمرت شفتاه من حرارة الحساء : أنا الآن أكتب رواية بعنوان (السلام والغضب) وهذه الرواية ...

- قاطعته وعلامات التعجب اكتست وجهها : ما سر هذه التسمية ؟ وهي تنظر إليه بتمعن

- أعلم أنك ستسألين هذا السؤال وأردت إكمال الجواب لكن فضولك منعك من سماع الجواب .. تبسم وأسرع قائلاً وقد رفع يده ناحية حلمة أذنه يحركها وكأنه ينتقي كلماته : إذا انتزع السلام من أمن المواطن البريء وانتزعت إرادته المستحقة له وانتزع ما يدل على إنسانيته التي أقرّها المولى عز وجل فإنه حتماً سيغضب وإن السلام دون الشعوب وهم في وهم و على جميع الحكام في العالم أن يبنوا شعوباً راضية بقراراتهم لأنهم أساس السلطة و عندما تغضب الشعوب سيفقد السلام سلميته.

- أمممم هل ترى يا زوجي أنك أسرفت في التوصيف بهذا العنوان ؟ وهي تعلم أنه محق لكنها أرادت اختبار ثقته .

اعتدل في جلسته ونصب ظهره وقال لها سأجيبك بعد الانتهاء من وجبة العشاء لكي لا تبرد لذته فأتحسر على الجواب ، ضحكت بصوتها الناعم الجميل الذي تضحك معه بلاسم القلب وأوردة الحياة واعتدلت هي كذلك .

بعد العشاء أعدت الزوجة كأس الشاي بالنعناع الذي يفضله دائماً بعد كل وجبة والنعناع له من الفوائد في تنشيط الدورة الدموية والتخلص من السموم التي تغزو الجسم ما لا يخفى .

جلسا جنباً إلى جنب حيث إن هذا الجلوس يعطي الكثير من الاستقرار للنساء اللواتي يشعرن بالراحة عندما يقترب منهن أزواجهن فالكثير من الدراسات أثبتت أن وجود الزوج بجانب زوجته يعطيها موجات علاجية لتخفيض الضغط و عمل توازن في بناء الجسم .

- قال : لم أبالغ يا حبيبتي ... فالشعوب الباحثة عن الحرية مهما نالت من أموال ورغد العيش وبناء المنازل وحتى لو توشحت بالذهب فإنها لن ترضى بالظلم ولن تكمم أفواهها ملصقات ورقية ملونة مدى الحياة لا بد للشباب و غيرهم من يوم غضب سيبدد الاستكبار ولن يخضع للسكوت والاستهانة وهذا ما رأيناه جليّاً في ثورة الغضب في بلد الفراعنة بأرض الكنانة وأيضاً نلاحظ الدول الأوربية أو منطقة اليورو تنهار اقتصاديّاً على أن شعوبها لديها من الحريات ما لديها وأيضاً في أمريكا الشعوب التي تطالب باحتلال وول ستريت لم تخضع وتستسلم لرغد العيش بل تطالب بالعدل و المساواة الحقيقية .

- نعم فهمت عليك الآن ... لكن ما هو الحل يا زوجي ؟

- أحسنت على هذا السؤال يا حبي الأبدي .. الحل يكمن في الإسلام الأصيل حيث شرع الإسلام للفرد حريته وشرع له كل ما يزين حياته ويكفل الحفاظ على كرامته فهذه الدول تخلت عن الإسلام بداعي أنه يخنق الحريات وخصوصاً المرأة لهذا نرى المرأة في الغرب أصبحت كسلعة للملذات لا تملك أنوثتها بيدها و العجيب أن الإسلام جاء أيضاً باقتصاد لا يقبل الانهيار مدى الحياة إذا طُبق بشكل سليم لهذا نرى الدول التي تطبق الإسلام الحنيف اقتصادها ثابت وراسخ .

- جميل كلامك يا وردة حياتي وبلسمها ... طيب و ما فائدة هذه الروايات في هذه الفكرة ؟ طرحت سؤالها وشعرت بالخجل في وجنتيها

- نعم نعم اسمعي أيتها الأمل الوحيد في حياتي إن هذه الروايات ترجع بالفائدة على المجتمع وكيف لا يكون لها تأثير ؟!! وهي تَنقُل أحداثاً في أروقة المجتمعات وتظهرها بأسلوب أدبي له طابعه الخاص وكيف لا يكون لها تأثير ونرى أن الكثير من الروائيين تعرضوا للسجن و النفي من أرضهم لأنهم تكلموا بالحق وهناك من بروايته غير بعض الأنظمة وأصبحت منطلقاً للثوار ، إن هذه الروايات و القصص و الأشعار والكتابات لها فائدتها لكونها المتنفس للفقراء و المعوزين و المظلومين حيث أخذ الأدباء على عاتقهم نقل صوت هؤلاء للعالم ليتعايشوا معهم اللحظة بلحظتها .

ساد المكان موجة صمت رهيبة وكأن ملكاً من السماء قد مر بجانبهما.

- قال لها : هل دونتِ اسمك في صناديق الاقتراع ؟

- نعم سجّلت اسمي و سأختار شخصية أراها قادرة على تولي هذا المنصب .

- فأسرع إليها قائلاً بعد احتساء كوب الشاي ومن هو ؟

- هزت رأسها مبتسمة لن أقول لك لكي لا تؤثر في رأيي وأعدل عنه بناءً على رغباتك .

- ضحك بهجولة كبيرة وقال ونعم المرأة المكافحة المجاهدة ... قلت أختبرها كما اختبرتني .

في اليوم التالي استعدا للخروج وقبل الخروج ناداها : زوجتي الحبيبة لا تنسي إثباتاتك وجهزي بعض المأكولات الخفيفة لأنه قد يطول بنا وقت الاقتراع .

- حاضر يا زوجي الحبيب لا تقلق فأنا عند كل توقعاتك .

خرجا وكل روابط الثقة تحفهما والسعادة على أساريرهما واضحة كالشمس في كبد السماء وكإشراقة القمر في منتصف الشهر وقد ركنت يدها في يده .

انطلقا في ردهات الشوارع وكانت أعينهما تتحسس كل الأجواء من صور المرشحين للانتخابات البرلمانية تكتسح الطرقات والأرصفة والإنارات فبعض المرشحين بابتسامة خجلة لا نعلم ما خلفها من خطط استراتيجية تنهض بالبلد نحو الرقي والازدهار أو اضمحلال قواه في درك السافلين.

والبعض رفع علامة النصر وكأنه في حرب البسوس إما النصر أو الموت كما جاء في إعلاناته التجارية .

وهناك من أضحك الزوجين حيث قال في إعلانه إنه سيهتم بالعازبين والعازبات و سيقضي على البطالة و سيعاقب من يتخذ الواسطة مسلكاً له، فقال الزوج لزوجته : هل تعرفين من هذا ؟ قالت : قرأت عنه أنه

صاحب منصب و غالبية الموظفين الذين في دائرته من أقاربه ، ابتسم ابتسامة الفخر وقال : أحبك يا زوجتي ، فتجمدت حمرة دائرية على خديها و طأطأت برأسها وشبكت بين يديها الناعمتين .

وصلا إلى مركز الاقتراع وشاهدا جموع المواطنين من كبار وشباب في صفوف وأغادير طويلة وكأنهم ينتظرون أمام محلٍ تجاري ، افترق الزوجان فذهبت الزوجة إلى المكان المخصص للنساء فانتقى مكاناً خلف رجل عجوز طاعن في السن مفلطح الشفاه وفروة رأسه اصفرت من الشعر كالصحراء الهامدة التي اختفى فيها الماء وتجاعيد وجهه المتدلية وسواد عينيه الجاحظتين وعكازه المعقوف ، وبتملق و تطفل اقترب كاتبنا الكريم وسأل سؤاله هازئاً .. والدنا العزيز : ماذا تفعل في هذا المكان ؟

– لم يعره أي انتباه وكأنه لم يسمعه ورفع الشائب يده ناحية حاجبيه ورفعهما إلى الأعلى قليلاً .

– اقترب منه كثيراً وأعاد السؤال تعنتاً وكأنه يريد الانتصار مهما كلفه الأمر وبصوته الذي أضاف عليه الرعونة والخشونة وباعتقاد منه أن الشائب خرف لم يعد قادراً على السماع في هذا السن الطاعن .

– بتقطيب الحاجبين وغضب بان على تجاعيد وجهه قال العجوز : كدت أن تتلف صيوان أذني .

– بخجل واستحياء تراجع القهقرى ووقف كالعمود الخشبي .

– وبعد لحظات قليلة التفت الشائب العجوز : لا تعتقد يا ولدي أن هذا الشائب غير قادر على المعرفة ولا تعتقد أني جئت هنا لمجرد التسلية أو...

- قاطعه وقال معذرة يا والدي الكريم أنا لم أقصد ما رحت إليه .

- فأسرع العجوز وقال : دعني أكمل حديثي وأنا قرأت لك رواية (حلم السنين) فأنت كاتب كبير .

تدلت على جبهته المربعة قطرات من العرق وشعر أن ماءً بارداً تدفق من قماقم رأسه وتجمعت كرياته الحمراء في وجهه ولم يعد قادراً على الجواب .

- فأكمل العجوز : أنا أعلم بأنك لا تقصد ما تقوله فأنا جئت هنا يا ولدي لكي أساهم في بناء مجتمعي وأختار من يمثل صوتنا في البرلمان ومن لديه القدرة على إسكات أجربة الفقراء الجائعة ومن لديه القدرة على برمجة زهور شبابنا ونريد بناء مجتمع متكامل مثالي قادر على إنتاج ما يقوي الأمة .

- فأردف قائلاً : أرجو المعذرة يا والدنا للمرة الثانية وصحيح ما قلته إننا بحاجة لمثل هذه الشخصية الكبيرة ونحن جميعنا محتاجون إلى كل هذا . ونظر الزوج إلى العجوز فرآه مبتسماً

- وقال العجوز: انظر إلى الداخل وشاهد ممثلي المرشحين كيف هم في أنبل وأزهى حلة وكيف يريدون استقطاب الأصوات لينال مرشحهم بطاقة العبور إن هذه الأجواء هي الديمقراطية الحقيقية التي نتمنى أن تحذو كل دول العالم حذوها .. سكت العجوز ليأخذ نفساً عميقاً ثم قال: هل لديك رواية أخرى ؟

- ضحك .. نعم وستكون أول من ينال النسخة بعد الانتهاء من طباعتها .

– هز الشائب العجوز رأسه وقال : يبدو أن هذه النسخة اعتذار للمرة الثالثة .

– تبسم وقال : إنك شائب عجوز لكن قلبك شباب فتي القوى

و انطلقا نحو صناديق الاقتراع نحو الأمل نحو الحرية نحو تجديد الدماء .

جلس الزوج من نومه مفزوعاً مرتجف الجسد والعرق يتقاطر على جبهته ، تناول كأس الماء ، جلست زوجته مذعورة خائفة ماذا حلّ بك يا زوجي العزيز ؟

– أخذ شهيقاً عميقاً ونظر إلى سماء الغرفة وقال حلم أفزعني حلم مخيف .. لا لا لا ما هذا الحلم ؟ أمسك بكتفي زوجته بيديه الكبيرتين وقال زوجتي إني أحتاج إلى حنانك وإلى قربك مني في كل اللحظات العصيبة لم أحلم في حياتي بمثل هذا الحلم المرعب الرهيب .

– هالتها لحظات تعجب ودموع عينيها انسابت بهدوء على خديها دون أن تدرك ما يجري هنا .

– نظر إليها وعينها في عينه وحضنها بكل قوة كما يحضن الطفل أمه .

نهض من سريره واستعد للخروج بعد أن أخذ حمّاماً دافئاً وتناول حقيبته التي لا تفارقه حيث كتاباته وقلمه المطيع وما زالت آثار الحلم تهز كيانه وتؤرق مضجعه وتجعله في رجفة متقطعة .

ودع زوجته وقال لها بلهجة المسافر .. انتظريني على الغداء فأنا أحب الجلوس بالقرب منك لأنك مستودع أسراري والوحيدة التي تفهم ما تقوله أحاسيسي ومشاعري .

- ابتسمت وقالت سأعد لك وجبة غداء يحبها قلبك الرائع .

استدار وأمسك بمقبض الباب ليفتحه فشعر بيده ترتجف قليلاً وقلبه ينبض متسارعاً .. تراجع عن فتح الباب وجاءت زوجته مهرولة والخوف يسبقها وشعرت أن هناك خطباً ما حدث له ووضعت يدها على كتفه ماذا دهاك ؟ لا تذهب اليوم إلى الصحيفة ارتح فأنا أشعر أنّك مرهق ..

أغمض عينيه ووضع يده على مقبض الباب لا تقلقي يا زوجتي فأنا بخير وصحة مجرد أوهام طرأت على مخيلتي ، خرج بعد أن هدأت سرائره و زوجته بالداخل تنظر بقلبها إلى زوجها و إحساسها الخائف ما زال يرقد في جنباتها .

اقترب من مركبته و ألقى بنفسه على مقعدها الأمامي استعداداً للانطلاق وبينما هو سارح في أفكاره التي رحلت إلى عوالم لا بداية ولا نهاية لها وإذا بشخص يطرق النافذة ...

نظر إليه و قطب حاجبيه وباستغراب فتحها وخالجه خوف من أشكالهما فلقد كانا رجلين بلباس مدني .

- قال و صوته يرتجف تفضلا .. أي خدمة ؟

- أجاب أحدهما : معك أمن الدولة ..

- كح قليلاً وخاطب نفسه ما علاقة أمن الدولة فأنا لم أكتب ما يخالف القوانين وكل كتاباتي معروضة للنقد وللرقيب الإداري فتح عينيه وكأنه رأى أمامه منكراً ونكيراً يسألانه ، بلع ريقه الذي جف من هول المنظر،،، ماذا تريدان ؟

- أجاب الشخص الآخر وبكل غلظة وجفاء : أنت متهم ..

- نعم نعم ماذا ؟ .. وما هي تهمتي ؟

- أنت ليلة أمس حلمت أن هناك انتخابات برلمانية وهذا مخالف للقوانين والأنظمة .

ثانوية بنات ...؟

رفعت يدها : أستاذة لو سمحتِ أحتاج إلى دورة المياه .. أشارت الأبلة بيدها بالموافقة .. غمرتها ابتسامة لطيفة .. نهضت من مكانها و سارت بين الطالبات و في نظراتهن علامات استفسار و أسئلة مجهولة الإجابة.. فجأة وقبل الخروج نادتها الأستاذة : أشوف أسنانك ؟ أها مركبة تقويم وملوّن بعد ؟ ابتسمت وقالت : نعم ركبته أمس .. طيب التقويم و عرفنا سالفته شو سالفة العطر الرجالي الي حاطته؟ تورّدت وجنتاها احمراراً و سمعت همساً بين الطالبات و ابتسامات مستهجنة .. نطقت بخجل : عطري فجأة خلص أبلة و ما شفت إلا عطر أخوي و حطيت منه.. هههه يالله روحي ولا تتأخري عن الحصة ومرة ثانية حطي عطر بناتي و انتفض الصف بضحكات الطالبات و في قلبها لعنات على أولئك الطالبات اللواتي يبحثن عن الزّلة و يعشقن الاستهزاء بالأخريات .

وصلت إلى دورة المياه و هي مسرعة الخطا و كأنّ الأرض تطوى من تحتها تنظر إلى ساعتها خوفاً أن تكون قد تأخرت فالوقت أشد من السيف في بتر اللحظات الجميلة ، ها هنا ترقد الأحلام و نحن من نبحث عنها ، النشوة و الرغبة تصنع الهوس تصنع المغامرة فترة من الشبابية الضبابية لا تعرف المستحيل ، الإشباع وسيلة لصنع المواقف و الشيطان لا يقف مكتوف اليدين ... تجاوزت الباب الأوّل و الباب الثاني قلبها يخفق و الدم يتسارع في أوردتها تعصف بها رياح التفكير فخلف هذا الباب الثالث تنتظرها صديقتها التي عشقتها في لحظة و عاشت معها أوقاتاً جميلة انتقل هوسهما إلى المدرسة ، طرقت الباب

و تنحنحت (إحم إحم) فجأة فتح الباب وكأنه باب مشعوذ اعتدلت و انتصب ظهرها فدلفت إلى الداخل و سمع صوت إقفال الباب و كأنها دخلت في عالم أحلامها السعيد الذي طالما انتظرته لأكثر من يومين و ركّبت لأجله تقويم الأسنان لتظهر بمظهر الأنيقة التي يستحيل التخلي عنها ، هكذا هن البنات يسعين لجذب الأنظار و يجعلنه هوساً في ذواتهن حتى يكن في غياهب الظلام و ينزلقن في درجات غياب الوعي و بعدها تستيقظ إحداهن من سباتها فتجد نفسها في بيت عنكبوت لا مفر ولا محيص ، من ينقذها ؟

ليه تأخرت ؟ آسفة حبيبتي والله الأستاذة سألتني كم سؤال و انحرجت منها ومن الطالبات ، أهاا صار خير إن شاء الله .. ها طمنيني عملت الي قلت لك ؟ ابتسمت وقالت أيه حطيت عطر رجالي ، قبلتها على رأسها وقالت يا عيني عليك كذا بنعيش أحلى لحظات و التقويم الي ركبته ما شاء الله عليه حييل حلو ، عيونك الحلوة حبيبتي و قلت أخليه لك مفاجأة ، فديتك والله يا أحلى صديقة و حضنتها و أخذت تمسح على ظهرها و هي تقول أشعر بالدفء كلما احتضنتك و رائحة العطر تزيدني من الشعور بالدفء وكأنني أحضن رجلاً كم أهواك أيتها الشقية و كم انتظرت هذه اللحظات بفارغ الصبر .. سألتها صاحبة التقويم : لماذا لا أستطيع أن أراك يومي الخميس و الجمعة ؟ آاه ولك يا صديقتي والدي لا يسمح لنا بالخروج إلا بجيش من المحارم فهو يخاف علينا من الأعين و الاختطاف ، أهاا طيب أعتقد رايح تكون لقاءاتنا مستمرة هنا أفضل وإلا شرايك ؟ إيه والله خلينا كذا أحسن .

مرّت خمس دقائق عاشتا فيها لحظات رومانسية مجنونة و انتبهت صاحبة التقويم إلى الوقت وقالت : لقد تأخرت حبيبتي .. أووه لم

أستمتع معك بشكل جيد ، خلاص خلاص أعدك الأيام الجاية رايح تكون أكثر رومانسية و شقاوة ..غمزت لها ... أممم خلاص يلا عدلي ملابسك وفي تلك اللحظات قالت الثانية : الحين إذا بفتح قفل الباب إلى اليمين أو اليسار ؟ بصراحة ما أدري جربي إلى اليمين .. حاولت أن تدير المفتاح إلى اليمين لكنه لا يتحرك من مكانه .. دبّ الخوف و الهلع في قلوبهما و اصفرت وجوههما فهذه اللحظات تعني الفضيحة ولا شيء غير الفضيحة .. لفّت المفتاح يميناً و يساراً لكنه لا يتحرك ، قبضت على المفتاح بكل قوتها وأدارته إلى اليمين و لكن حدث ما لم يكن في الحسبان .. انكسر المفتاح .. رباه ما الذي حدث ؟ أرجوكم أخبروني؟ ... لا لا .

تجمهرت الطالبات و المدرسات و مديرة المدرسة و الوكيلة و المرشدة الطلابية الكل يرتقب لمعرفة ما يحدث ومن خلف ذلك الباب المنحوس الذي ظل صامداً ؟ و أي فضيحة ستلبسهما مدى الحياة ؟ ما هي الدوافع؟ يا رباه أي ألم سيحدث لهما ؟ يا ترى ماذا ستفعل إدارة المدرسة بهما ؟ آاه لا أستطيع التحمل أنقذوني ... فُتح الباب و ذابت ملامح الطالبتين في أغادير الأرض و انتشرت رائحتهما النتنة و التصقت بهما فضيحة مدوية و نظرات الجميع تمزقهما و تخطف حياء محياهما فأصبحتا كالخشبة اليابسة و انهارت الطالبتان في ذواتهما حتى وقعتا على الأرض مغمىً عليهما .

لله أشكو كآبتي

تحت جنح الظلام رفع الحاج علي يديه تضرعاً وابتهالاً إلى رب السماء ، يشكو إليه ضعف حاله وركائك أمواله ... نعم إلى الله يشكو كآبته وعسر سعادته متخفياً باكياً في عزلته عندما انسل من جوانح زوجته وأغمض الجميع أجفانهم إلى نوم يملأ أجوافهم الجائعة ففي النوم انعزال عن هموم الدنيا ولو للحظات وفي النوم نسيان لأصوات فرقعات أمعائنا وفي النوم لحظات قد لا نجلس منها وفي النوم زغردة الأمل في صبحٍ جديد .

التجأ إلى وحدته وقيامه آناء الليل في حجرته التي أصبحت للكراكيب وكل ما لا يستطيعون الإنفاق عليه ركن إلى زاوية أعدّها ونظفها ليكون بعيداً عن النور لأن الظلمة تساعد الدموع على الجريان تحت محاجر العيون .

افترش سجادته بعد أن نفض الغبار عن مكان جلوسه و بدأ يكح بسبب الغبار المتطاير في الغرفة ، جلس على سجادته و ألقى نظره إلى موقع سجوده وطابق بين أصابعه كالحبال التي تشد جسراً معلقاً ، شعر بعدم الراحة والطمأنينة وبتوتر في حواسه كان مرتدياً ثوب النوم ولم يشأ أن يبدله لكي لا تستيقظ زوجته وأولاده .

سائق سيارة أُجرة يعمل بها ليلاً ونهاراً يجلب بها رزقاً لأبنائه الأربعة و في الآونة الأخيرة تراجع مدخوله وأصبح لا يسد احتياجاتهم لقد سيطرت الأيدي الأجنبية على كل مقدرات هذه المهنة وأصبحوا

ينافسون العامل السعودي فيها وكأنهم أصحاب الأرض يشاركون المواطنين في نصيبهم ويزاحمونهم في أرزاقهم حتى يصبح هذا العامل في بلده من الأثرياء على حساب ذلك المواطن السعودي الفقير، وللأسف بعض المواطنين لا يجيدون التعامل مع السعودي لا يمنحونه الثقة التي ينالها الأجنبي وكثير من الأعمال أغلقت بسبب تلك العمالة السائبة التي تأكل الأخضر واليابس و المواطن من يدفع ضريبة تلك اللوائح الخشبية التي أضرت كثيراً به .

أغمض الحاج علي عينيه وأخذ يتذكر ما جرى له في هذا اليوم انطلقت دموعه تسيل على خديه وكأنها عرفت بماذا يفكر وماذا سيقول وها هي الدموع تواسيه من جديد ، استنجد بدموعه الدافئة الصادقة و لا يوجد لدموعه صوت وقعقعات وعجعجات فهو رجل يملك الإرادة التي لا يملكها حتى الأثرياء ، رفع يديه إلى السماء مناجياً الله سبحانه وتعالى وفي قلبه آهات وحسرات وتوجعات يعلم أن الله قريب جدّاً من عبده ويسمع نداءه واستغاثته ... بخشوع نادى ربه بلسان ضعيف خاشع لا يعرف اليأس والقنوط قال وهو يبكي بحرقة قلبه : إلهي وسيدي ومولاي من لي غيرك أشكو إليه ضعف حالي ، إلهي إليك أشكو كآبتي لا إلى الناس أشتكي ، إلهي أنا عبدك وأنت مولاي فاسمع يا سميع مدحتي وأغثني من كربي وسهادي ، إلهي التجأت إليك عارفاً أنك قريب مني وأنت الأقرب وما زلت الأقرب ، إلهي وسيدي ومولاي أتيتك عارفاً قاصداً فاستجب دعائي وارحم حالي وأنت علام الغيوب وكشاف الكروب ، إلهي وسيدي ومولاي أتيتك في ظلمة هذا اليوم لأشكو شكوتي إليك من جوع أبنائي وعسر معيشتي ، إلهي لن أعترض على قدرك فإن كان هذا يرضيك وفي مصلحتي فلا تغير حالي ، إلهي سد جوعة أبنائي وحقق أمانيهم واجعلهم عندك من المقربين المخلصين ، إلهي ارحم

عبدك الذليل المسكين الحقير المستكين ولا تجعل الدنيا أكبر همنا يا أرحم الراحمين :" وما زال يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى حتى انتهى الحاج علي من مناجاته لكنه أبقى يديه ممدودتين إلى السماء وأخذ يتمتم بكلمات كثيرة وكأنه يخفي سرّاً أو يوجد لديه شيء آخر يريد قوله انقضى ربع الليل وهو رافعٌ يديه وبعد أن انتهى أسدل يديه إلى صدره وكأنه يحضن نفسه وأغمض أجفانه وسبح في عالم من التفكير و تذكر كيف جرى له هذا اليوم .

قبل أن يخرج من بيته ودع أبناءه وزوجته و نظراتهم تلاحقه وفيها صدى الأمل يناديه ... ابتسم ابتسامة الألم ومسح على رؤوسهم ولم يتكلم بكلمة واحتضنهم وكأنه أجاب على تساؤلاتهم وهذا ما شد من عزيمته وهمته أن يعود في هذا اليوم بكل ما هو مدعاة لسرور أبنائه .

ركب سيارته وتوجه إلى محطة سيارات الأجرة وتوقف خلف إحدى السيارات ينتظر زبائنه

في أثناء تلك اللحظات عرج الحاج علي إلى عالم الخيال و وضع نفسه في مكان أحد الأثرياء وطرح على نفسه سيلاً من الأسئلة كيف سأعيش عندما أكون ثريّاً ؟ وفي أي قصر سأكون ؟ و ماذا سأشتري من سيارات وأستخدم من خدم وكل مقومات الحياة الكمالية ؟ نعم سيكون أبنائي في أحسن حال وسأشتري لكل منهم جوال جالكسي وسيارة فارهة متعددة الاستخدامات وسأجعلهم يدرسون في أرقى الجامعات العالمية و سيأكلون جميع أصناف اللحوم ويستمتعون بالعصائر والسفريات ولن أنسى والدتهم سأطليها ذهباً من أخمص قدميها حتى قمة رأسها و سأجعل لها دولاباً خاصّاً للأحذية فقط ... ناهيك عن الملابس الحريرية المتنوعة الجميلة ،، نعم يا أبنائي سأطليكم بالذهب الخالص و سأصبح

ذا وجاهة عالية ومكانة مرموقة وسأدخل الانتخابات البلدية القادمة و سيحترمني الكثير وإذا دخلت مجلساً سيقومون إجلالاً واحتراماً لمكانتي لأني أملك المال الكثير .

فجأة أحدهم يطرق النافذة تك تك تك ... انتفض من مكانه وجلاً وفتح النافذة مسرعاً وهو يردد يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم جاء الخير إيه والله شكراً لك يا رب ... بعدها اتفقوا على أجرة التوصيل التي كانت زهيدة .

انطلق متوجهاً إلى المكان الذي يقصدونه وعلى محياه ابتسامة الرضا، كان عددهم ثلاثة من الجنسية الإندونيسية ، كانوا يعملون في أحد المحلات لبيع الزهور وتغليف الهدايا و الابتسامة تغمر محياهم وكأنهم انتهوا للتو من حفلة صاخبة .. رأى الحاج علي ذلك فاستبشر خيراً و خاطب نفسه أنه سيتحدث أخيراً عن وضعه ومن ماذا يعاني حيث لا بد للإنسان أن يشكو حاله ولو إلى صديق لكن من أين له الأصدقاء ؟ فالفقراء عادة ليس لهم أصدقاء .

كان يصغي إلى ما يقولونه ولكن لا يفقه حديثهم لأنهم يتحدثون بلغتهم الخاصة ونظر في المرآة الأمامية وابتسم وأشار بأصبعه الإبهام علامة على الرضا ، استجمع الحاج علي كلامه ليتحدث و وجد الفرصة عندما هدأت سكرتهم وعنفوانهم و صخب ضحكهم وانطلق وقال دون تردد أنا لدي أولاد وهو يشير إلى نفسه ... ولكنه لم يكمل حديثه لأنهم عادوا إلى الحديث والضحك وهنا خاب ظنه وعلا اليأس محياه وعاود يغزوهم بنظراته في المرآة ولكنه لم ييأس وابتسم مرة أخرى .

كان الحاج علي ينظر يمنة ويسرة إلى المناظر الخلابة التي تتسابق أمام ناظريه فالخضرة و الزرع يهدئ من روع الإنسان ويضفي على

حواسه جزءاً من الراحة فسبحان الله من جعل المناظر الطبيعية ملجأ للقلوب الواجمة المتهتكة في صخب الحياة المتوترة .

استجمع قواه ورتب الكلمات مرة أخرى وكأنه في لغز للكلمات المتقاطعة لكي يفرغ ما في قلبه من ضيم و ضغينة لعلهم يمدون إليه يد المساعدة لكنه لم يلقَ إلى ذلك سبيلاً وكأن الأقدار لا تستجيب له و حظوظه متعسرة كالمرأة الحامل .

الإخوة الإندونيسيون لم يتركوا له مجالاً وعلا التوتر مجاميعه لأنه اقترب من المكان الذي يقصدونه مما اضطره إلى قطع حديثهم بالقوة لأنه ملّ الانتظار ، فالسعوديون الذين يركبون معه لا يتحدثون كثيراً و يخجل من محادثتهم عن حاله وهذه الفرصة الوحيدة للتخلص من أعباء الكتمان فتفاجؤوا مما يحدث أمامهم وأخذوا ينظرون إلى بعضهم بعضاً وعلامات الدهشة واضحة وجلية على وجوههم وأخذ أحدهم يشير إلى زملائه بيده مندهشاً .. قال لدي أولاد ثلاثة وعيشتنا صعبة وأنا أعمل في هذه المهنة سنوات عديدة والله تعبت أبي أحد يحس فيني و يشعر بمعاناتي أنا كل خويفي على أولادي أرجوكم ساعدوني ... ولم يكمل كلامه لأن أحدهم أخذ يتكلم بالجوال والآخرين يتهامسان وعلا صوتهم على صوته وشعر أنهم اشمأزوا من كلامه ، وتوقف عن حديثه وهو منكسر القلب .

اقتربوا من المحل المخصص لهم و بدا عليه الشحوب و الاستغراب وكل ما يدل على تعاسته وعندما وصلوا ونزلوا من السيارة أعطوه أجرته ورحلوا عنه وهو ما زال في آلامه و أوجاعه يبحث عن النور الذي يضيء حياته .

رفع يديه بالبكاء والخضوع لله سبحانه وتعالى و بعد أن توسل لله عن حالته وفقره ، استلقى على سجادته لأنه شعر بحرارة في قلبه والتعب ساور أطرافه ووضع يديه تحت رأسه وانكمش داخل ثيابه وتقلصت عضلاته وحل الظلام في عينيه و كأنه أعطي حقنة تخدير حتى أصبح كالخشبة اليابسة .

وفي الصباح بحثت الزوجة عنه ورأته في مكانه ممدداً لا يتحرك والابتسامة على محياه وحاولت أن تحركه فلم يتحرك ووضعت يديها على قلبه وسمعته ينادي اعتني بأبنائي ...

عامل سعودي

رن جرس شقتهم ، نهض لفتح الباب لمعرفة من الطارق شعر في تلك اللحظات برياح التفاؤل وهمسة أمل واعدة .

ريحان فتح الباب وإذا بصديقه (لافي) مبتسماً ابتسامة عريضة ملأت وجهه ... نظر ريحان نظرات مستنكرة وعلى لسانه (ماذا يريد هذا الوغد مني في هذه اللحظات ؟) و اصطنع ابتسامة صغيرة على شفتيه .

مدّ (لافي) يده التي أخرجها من خلف ظهره وفيها ورقة صفراء وبدأ يهزها وسرعان ما قطب ريحان حاجبيه .

- قال له : ماذا في هذه الورقة الصفراء اللعينة ؟

- ابتسم قائلاً : إنّها الثروة يا صديقي .

- يا ألله! إنني أكرهك وأرجوك هذا ليست وقتاً للمزاح .. و بانت نواجذ غضبه .. و استطرد قائلاً له : لا تكن نذير شؤم في هذا الصباح هيا أخبرني فعندي مسؤوليات هذه الأسرة الفقيرة .

- على مهلك يا صديقي هل هذا جزاء من يريد بك وبأهلك خيراً ؟

- قال بلهجة المعتذر : لا تزعل يا صديقي فأنت تعلم الظروف التي أعيشها وكل يوم أفكر في كيفية إعالة هذه الاسرة المعوزة المحتاجة .

- ابتسم لافي وقال : لا تقلق يا صديقي فاليوم لا يوجد فقر وهذه الورقة تأشيرة دخول الهند للعمل فيها .

– لحظة لحظة دعني أركّز معك ... و بانت سرائر ريحان و فرح كثيراً وقال وكأنه غير مصدق ما يسمعه أرجوك ... أعد ما قلته .

– قال لايْ ببطء وكأنه يعلّم ريحان القراءة هذه تأشيرة دخول للعمل يْ الهند سائقاً خاصّاً لدى إحدى العوائل الثرية هناك نعم هناك هيا هيا هيا .

– راح ريحان يقفز يْ الهواء وكأنه طفل .... احتضن صديقه وراح يبكي فرحاً وعندها سمعت الأسرة ما يحدث وخرجت مذهولة لمعرفة ما يجري و هم ينظرون إلى بعضهم بعضاً وكأنهم يشاهدون فلماً لا يعرفون ترجمته و التفت ريحان إلى والده واحتضنه و أيضاً والدته و أخواته احتضنهن وقال لهم من الآن سنودع الفقر إلى الأبد وسنعيش يْ رخاء وما زالت علامات الاستغراب تجول يْ وجوههم .

دخل الشقة ينظر إلى جدرانها وقال سأصبغ الجدران و أضع ديكوراً خشبيّاً فرنسيّاً رائعاً ذا إنارات جميلة وسأغير لكم الثلاجة وسأملؤها بالمأكولات و اللحوميات و نظر إلى الأرضية التي كانت مفروشة بحصير مصنوع من خوص النخل ورفعه بيده وقال لن تجلسوا على هذا الحصير بعد الآن و ذهب إلى التلفاز الذي يشتغل على علاق حديدي للملابس و قال سأضع لكم الستلايت و ستشاهدون العالم كله .

– ذهب والده ناحية لايْ ليعلم الخبر فلقد دخله هاجس أنّ ولده أصابه الجنون وأصبح الوالد يشير بيديه علامة ماذا يحدث لولدنا ؟ لايْ يهمس يْ أذن الوالد .... و ريحان يرسم أحلاماً لعائلته وفجأة قفز والد ريحان فرحاً وكأنه أخذ منشطاً وحضن ابنه وأخذ يبكي و ذهبت والدة ريحان إلى لايْ تستعلم حقيقة ما يجري حولها ؟ وعندما أخبرها أخذت ترقص واحتضنت زوجها وولدها وهي تبكي .. وذهب

إليه البنات الثلاث يستفسرن عن هذا الصخب العارم الذي حدث فجأة للأسرة ؟ و عندما أخبرهن ، ذهبن إلى الثلاثة و احتضنّهم جميعاً وأصبحوا كأنهم كتلة ثلجية متماسكة .

أخذ ريحان الورقة الصفراء من يد صديقه وفتحها وأخبره أنه لا بد عليه من إنجاز بعض متطلبات السفر من السفارتين السعودية و الهندية وبعد انتهاء الإجراءات والفحوصات الطبية يجهز أمتعته و يغادر إلى مطار الدمام وبعدها يتوجه إلى عمله الجديد في الهند .

بعد مرور ثلاثة أشهر على تجهيزات ريحان وبعد أن استدان بعض الأموال ليوفي حق الفيزا استعد للمغادرة وكان ذلك في آخر يوم أربعاء من شهر ربيع الأول .

حزم أمتعته ووضع صورة له وهو بجانب البحر و لم ينسَ الرطب الحساوي و خبز الرقيق وبعضاً من الفلفاص للتسلية في الطائرة كان يوماً حزيناً للعائلة حيث سيغادر ابنهم الوحيد الذي يعيلهم إلى ديار أخرى لكن تبقى في القلب فرحة لأنه سيذهب لجلب الكنز والثروة الطائلة ليعيشوا في رغد الحياة ، احتضنهم ريحان واحداً تلو الآخر وكانت الدموع هي سيدة الموقف وكان في انتظاره بالأسفل صديقه لافي في سيارته المرسيدس موديل ٨٩ .

– قال لافي اسمع ما أقوله لك : إذا ذهبت إلى الهند اعمل لدى صاحب هذه الفيزا واسمه موجود فيها وبياناته وأهم شيء الاحترام وكلما احترمت كفيلك أعطاك و زادك في الراتب .

– أها أها إن شاء الله .

– لافي : انتبه ثم انتبه حاول مو تحاول إلا غصباً عليك لازم تسمع وتطيع كفيلك .

- آها آها إن شاء الله .

- لايف : اسمع أهم شيء أقوله لك يمكن ما يعطيك راتباً إلا بعد ثلاثة أشهر

- ابتلع ريحان ريقه وبحسرة قال : لماذا ثلاثة أشهر ؟

- لايف : هذا النظام لكن يمكن يرفق عليك كفيلك ويعطيك من أول شهر .

- بانت سرائر ريحان وحاكى نفسه إن شاء الله كفيلي يعطيني راتباً مقدماً لثلاثة أشهر يا سلاااام .

واصل لايف في إبداء التعليمات التي ينبغي أن يسلكها ريحان حتى بدأ النعاس على وجه ريحان و أدرك لايف أن كلامه لا فائدة منه و شغل شريط الكاسيت الذي جاء به ريحان وقال في نفسه كيف سيدير أموره هذا الغبي المعتوه في تلك الديار ؟ ابتسم قليلاً عندما نظر إلى وجه ريحان و هو نائم فاتح فاه وكأنه وحيد القرن .

وصلا إلى المطار وأيقظ لايف ريحان بعد طول عناء وأعطاه علكاً ليغير رائحة فمه دخلا إلى المطار وودعا بعضهما بعضاً وانتظر الطائرة المتجهة إلى الهند حتى ركبها و جلس في المكان المخصص له و بعد لحظات صرخ صرخة وكأنه أسد... الشريط يا حراااام لقد نسيته في سيارة لايف .

وصلت الطائرة إلى مطار نيودلهي نزل ريحان إلى بلد عمله الجديد وهو لا يعلم عنها شيئاً سوى ما قال له لايف لكنه تفاجأ بالمناظر الطبيعية التي تحيط بالمطار واستبشر خيراً وتفاءل أن تكون هذه البلدة بلد خير وعطاء .

بعد انتظار ساعة ظهرت لافتة مكتوب عليها اسمه فتوجه إلى حاملها.

سلم ريحان عليه ولم يرد السلام ارتجف قلبه واضطرب خوفاً من أن يكون هذا كفيله لكنه استبشر سروراً عندما علم أنه ليس كذلك رفع ريحان أمتعته وحده و رصها في صندوق السيارة وركب في الخلف .

انطلق مسرعاً و بعد مرور ٥٤ دقيقة وصل السائق إلى بيت متوسط الأناقة ومظهره من الخارج يدل على أن أصحابه متوسطو الثراء ، نزل السائق و دق جرس البيت فخرج منه ولد في العشرين من عمره ملامحه جميلة وكان يرتدي إزاراً و بدلة بان منها صدره الأملس وناول السائق مبلغاً من المال وأشار إلى ريحان بالنزول فنزل وأخذه إلى الداخل فرأى أطفالاً يلعبون في فناء البيت ، أشار الولد إلى ريحان بالتوقف فتوقف وبعدها خرج رجل قصير القامة منتفخ البطن أبيض الشعر وفي يده عصا ..

تفوه ببضع كلمات على إثرها دخل الأولاد إلى المنزل ونظر إلى ريحان نظرات حادة وكأنه يريد الانتقام أشار إليه أن يدخل إلى غرفته التي كانت بالقرب من مدخل البيت فدخل ونظر إلى غرفته ومكان معيشته الجديد كان أفضل نسبيّاً من شقتهم في السعودية .. وضع أمتعته ونظر إلى سريره الذي كان من الحديد مصبوغاً باللون البني وعليه بطانية خضراء اللون رسم عليها غابة كبيرة وفيها قرود يأكلون الموز وهم يضحكون و نظر إلى دولابه المصبوغ بالبني الفاتح المكون من بابين في وسطهما مرايا كان الباب اليمين لتعليق الملابس و الباب اليسار لترتيب البدلات و غيرها وتحت الدولاب درجان طويلان وبعد الدولاب تأتي ثلاجة طولها قدم ونصف القدم بيضاء اللون وبعد ذلك تلفاز ١٢ بوصة

يكاد أن يرى أزراره وكانت الغرفة مصبوغة بصبغ أبيض وخلف الباب علقت عدة مسامير لتساعده في تعليق الملابس .

بعد مرور ١٢ يوماً على وجوده في البيت وبعد الانتهاء من إجراءات الإقامة وتعلمه بعض اللغة الأوردية التي أتقن الكثير منها مجبراً لا مخيراً حيث كان يتطلب عمله ذلك لكونه السائق الخاص لهذا البيت وتعلم الشوارع ومداخلها ومخارجها .

كان يعمل كل شيء ولكم أن تتخيلوا ماذا يعمل ، يقوم المسكين بتوصيل الأبناء إلى المدرسة وشراء الحاجيات الضرورية وغير الضرورية وحتى ما يرغب الأبناء في شرائه من البقالة حتى لو كان شيبس أو آيس كريم كان خادماً وسائقاً مطيعاً و كان يوصل زوجة صاحب البيت إلى السوق وإلى زيارة صديقاتها و أحياناً يذهب بهم إلى نزهة في إحدى الحدائق كان لهم بمثابة الأب الثاني و قد رمى الأب أغلب مسؤولياته عليه حتى أنه لا ينام إلا سويعات قليلة و في أحد الأيام انخرب دينمو البيت وقام بإصلاحه و عمل نجاراً في بعض الفترات و سباكاً وكل ما يخطر على البال .

شعر بالتعب فلم يتوقع أن يؤدي كل هذه الأعمال وبعد انقضاء شهرين ونصف الشهر وبعد العناء الذي واجهه في هذا العمل أخذ يفكر في الراتب الذي تأخر كثيراً وهناك أهله الذين ينتظرون شيئاً منه ... انتظر ربّ البيت أن يعود من عمله وبالفعل عندما جاء صاحب البيت بادره ريحان بقلب كسير ذليل خائف ..

– قال : أنا قضيت شهرين ونصف الشهر ومحتاج فلوس لأسرتي في السعودية لكي أعينهم .

- فزجره رب البيت بنظرة حارقة وأمسكه من تلابيبه وقال له إذا انتهت ثلاثة أشهر يصير خير وأخذ يسبه ويهينه حتى خرج الأطفال من البيت وهم ينظرون إلى هذا المنظر المؤلم و أعينهم انكسرت لما يحدث لريحان من شتم وسباب وهو المخلص في عمله لكن لاحول لهم ولا قوة .

بان الحزن على وجهه فلقد نفدت الـ ١٠٠ ريال التي يملكها .. وقال في نفسه حسناً سأنتظر وبعد أن دخل رب البيت إلى الداخل جاء الأطفال حوله وكأنهم يواسونه حتى أمسك أحدهم يده اليمنى بكلتا يديه و نظر إليهم حتى كادت دموعه تنفجر ، وهو يقول قلب طفل يرق لحالي بينما قلب كبير يقسو على حالي .

دخل غرفته ونظر إلى المرآة وكادت دموعه تنهار لكنه تمالك نفسه ومسح عينيه بيديه السمراوين وقال كيف سيعيل أهله لو تأخر أكثر من ثلاثة أشهر؟ فهم ينتظرون مني الغذاء و المشرب والملبس فلقد أقمت على عاتقي حياتهم وأحمل بين يدي مصيرهم فآااه من هذا الزمن و مصاعبه و وضع رأسه على المرآة وأخذ يشكو الهموم لنفسه ويلوم صاحبه لافي لأنه نسي كاسيت عيسى الأحسائي في سيارته فلقد كان هذا الشريط المؤنس الوحيد في أحزانه .

في عرصات تلك اللحظات العصيبة جاءه صوت مدوٍّ يا حيواان تعال.

كفكف أحزانه وحاول أن ترجع ملامح وجهه طبيعية ، خرج من الغرفة وقال له صاحب البيت شكلك نمت ؟

- هز ريحان رأسه بالنفي

- صفعه على وجهه وقال له : أنت نمت .

- مسح يده على خده الذي احمر جراء الضربة .

- قال له : روح اشتر هذه الأغراض وبعدين روح سوق السمك واشتر مثل ما هو مكتوب في الورقة وبعدين روح سوق الخضار وبعدها روح جيب حطب مشان المزرعة عندنا فيها طبخ وبعدين روح اشتر ملابس على مقاسي وخلك تجيب صغار والله لأوريك نجوم النهار .. يلا رووووح.

خرج ريحان راكضاً وفي نفسه أي الملابس الداخلية ستكون قابلة للدخول في ساقيك المتضرجتين باللحم و الشحم وبطنك المكنوز بمعدة تلتهم كل ما لذ وطاب .

بعد مرور ساعة و عشر دقائق جاء ريحان بالمطلوب ولكن نسي علبة جبن في السوبر ماركت ونزل عليه صاحب البيت ضرباً وتهزيئاً وشتماً وقال له محسوم من راتبك يوم كامل ... استبشر ريحان خيراً لأنه سمع اسم الراتب وقال إذا يوم ما عليه بس المهم ييجي الراتب .

انقضت الثلاثة الأشهر وجاء موعد الراتب وتعدى موعده بيومين ولم يسمع صاحب البيت يتحدث عن الراتب فكل ما يقوله روح وتعال وجيب وشيل و الراتب لا حس ولا خبر .

وبعد مرور خمسة أيام لم يتحمل ما يجري فكان ينتظر الراتب بفارغ الصبر و أهله أيضاً ينتظرون فلقد أخبرهم بكل شيء سوى الضرب والشتم الذي يتلقاه مكافأة عن عمله و إخلاصه و عندما التقى بصاحب البيت أخذ بالمراوغة و التملص و برر له هذه المرة و قال له إنه لا يملك أي مبلغ مالي حالياً و إن شاء الله بعد أسبوع رايح يعطيه كامل حقوقه .. شعر بألم يغزو قلبه ونبضاته تتسارع وكأن قلبه يئس

من هذا المصير الذي حلّ به لكنه أعطى نفسه وقود الأمل من جديد ولا يعلم متى لهذا الأمل أن ينتهي فقال انتظرت ثلاثة أشهر وخمسة أيام رايح أنتظر أسبوع .

مرّ أسبوع وتفاجأ ريحان أن صاحب البيت سافر و تحطم قلبه من جديد كما يتحطم الزجاج لكنه انتهز الفرصة وأخبر زوجة صاحب البيت لكنه اكتشف أنها أكثر خبثاً من صاحبها .

اضطر ريحان إلى السلف من أصدقائه الذين تعرف عليهم في الحي الذي يسكنه فلقد كان أغلبهم من السعودية والقليل من بقية دول الخليج و عمّت عليه الفرحة وأرسل جزءاً من المبلغ الذي استدانه إلى أهله وعلتهم الفرحة والبهجة وإن كانت بسيطة جدّاً وبعد أسبوعين عاد صاحب البيت ولم يستطع ريحان أن يتحدث إليه مباشرة وبعد يوم أخبره عن الراتب ولكن جاء الجواب بعكس ما يرغب وكسر أمله مرة أخرى ، لكنه اعتصر قوته ليواجه معترك الحياة وأصبح لا يعي ماذا يفعل قال له رب البيت الآن عدت من السفر وحاليّاً لا أملك أي مبلغ بعد أسبوعين إن شاء الله أعطيك كامل حقوقك وأيضاً عاد ريحان واستدان مبلغاً من المال من شخص غير الذي استدان منه في المرة الأولى وتراكمت الديون عليه وأهله يخبرونه بحاجتهم إلى المال وإلا سوف يطردهم صاحب الشقة من العمارة وهذا ما جعل ريحان يستدين مبالغ كثيرة وصلت إلى ٥٠٠٠ ريال .

وانتظر أسبوعين آخرين لكنه تفاجأ أن صاحب البيت انتقل إلى رحمة الله فدخل في دوامة لا يعرف نهايتها و لا يعرف متى سيولد هذا الراتب الذي أدى إلى وفاة هذا الكيس الدهني و اضطرب البيت وأصبح في حداد تام وكان ريحان هو المتكفل بكل شيء من تجهيز العزاء و الموائد وكل المستلزمات وكأنه الوريث الوحيد .

بعد مرور ثلاثة أيام ذهب إلى الزوجة يطالبها بالراتب ولكنه تفاجأ بالخبر التعيس قالت له : إنها في حداد وعليه أن ينتظر ستة شهور لكي تنظر في أمره لأن الحداد في الهند يستغرق هذه المدة ... لم يستطع تحمل كل هذه الفترة و دخل إلى غرفته وبعد تفكير طويل توصل إلى حل يرضيه ويرضي كل الأطراف ويخلصه من ديونه ومن عبء هذا العمل الذي أصبح كالصخرة على ظهره .

تناول حبلاً و شغل التلفاز الذي لا تظهر فيه سوى القناة السعودية الأولى وكانت فيها نشرة الأخبار و رفع الصوت وجاء بالثلاجة وأسندها على الباب و عقد الحبل على المروحة بالقوة وتوثق من أن الحبل لن يفتل وتنتهي العملية بالفشل ، ووقف على الكرسي وربط الحبل في عنقه و تشهد الشهادتين و تذكر كل اللحظات التي مر بها منذ أن جاء لا في بالورقة الصفراء و السيارة التي أقلته إلى المطار وفرحة أهله جميعهم و شريط عيسى الأحسائي الذي فطر قلبه أكثر آاااه وقال أنا آسف يا أمي و أبي وأخواتي .. لم أستطع أن أحقق أحلامكم وهو يبكي ويقول مع السلامة و رمى بالكرسي من تحت قدميه وشعر بالاختناق ومد يديه إلى عنقه يريد أن يتنفس أو يحل الحبل من عنقه حتى قبض على رأسه وكأنه يريد أن يتنفس وجاءت أمه وصرخت في وجهه و أزاحت يديه من على رأسه وقالت له قم تأخرت عن دوامك يا ريحان ،،

القصة رقم (١٣)

انتظار

- ليش تعيدون هذا الكلام في كل مرة نتحاور فيها ؟

- مسعود : طيب يا فتحي وأنت ليش خايف يعني ؟

- فتحي: أنا ماني خايف لكن يا أخي أنت وياه (وكان معهما رشاد و شوقي وعبد العزيز في مكتبهم الخاص في شركة الإسمنت) ... الناس تفرح بشبابها وتتهنى وتستمتع وإنتو فيكم خير وتذكرون هالسوالف الي ما فيها فايدة غير ضيقة الخلق .

- قال عبد العزيز وهو يحاول تفادي الصراع مع فتحي ، الله يهديك يا فتحي ... قل آمين ؟

- نظر فتحي إليهم وفي عينيه شرارة غضب وأردف قائلاً : أنا ما عليّ منكم ولا بسمع كلامكم وبعيش وقتي مثل ما أتمنى وكل كلامكم هذا بلا معنى ومرة ثانية مستحيل أتناقش معكم .

خيم الهدوء وكأن جنازة قد مرّت أمام نواظرهم ولم يرغب بقية الزملاء الدخول في نقاش عقيم لا فائدة منه ... الزملاء ينظرون بعضهم إلى بعض و فتحي أخرج جواله يعبث به بعد أن أنجز جزءاً من عمله وفي نظراتهم ألف عبارة وحكاية وفيها أيضاً حسرة على ضياع هذا الصديق وانزلاقه في وحول الظلام .

- فجأة قال فتحي : طيب أنا الحين أخليكم .. بمشي .

- رشاد وكان مصري الجنسية : ها ليه تو الناس لا يكون زعلت من كلامنا ؟

- فتحي و بصوته الذي ارتفع قليلاً: إنتو كلامكم حلو بس يزعلني من تذكروا موضوع الموت ، افهموني ما حب هالموضوع كل ما نتكلم فيه أتوتر.

شعر الأصدقاء بانقباض في كلام صديقهم فالتزموا الصمت .

- قال مسعود وهو مبتسم قليلاً : خذ راحتك يا فتحي اليوم أنت مو طبيعي من بداية الدوام حتى افتقدنا ضحكتك الجميلة .

- أمم أتركككم أنا الحين لأني طلبت من المطعم وجبة غدا وأخاف يوصل قبل ما أوصل .. رفع يده وهو يقول مع السلامة .

خرج من المكتب الذي عمل فيه منذ ما يقارب الأربع السنوات وعمره تسع و عشرون سنة ملامحه جميلة وله ابتسامة جذابة تسحر كل من ينظر إليه سريع الغضب أحياناً لكنه يرضى سريعاً يتمنى الكثير أن يرافقوه لأنه صاحب بشاشة .

وصل إلى سيارته أدخل يده اليمنى في جيبه يبحث عن مفتاح سيارته لم يجده . عاود الكرة في جيبه الأيسر بحث واستقصى مليّاً وفرك كل زوايا جيبه لم يجده . تبادرت في ذاكرته أسئلة مبعثرة هل نسيته في المكتب ؟ لا ، أذكر أني أخذته حتى إنني لوحت به في يدي .. يا ترى هل سقط ؟ لم أسمع صوت سقوطه ؟؟ يا لله ما هذه الحيرة ؟ سأحاول البحث من جديد .

أدخل يده اليمنى مرة أخرى ورفع عينيه إلى السماء ، نعم ها هو هنا مركوناً في إحدى الزوايا . لكن لماذا لم أجده في المرة الأولى ؟ انتابت

قلبه انتفاضة سريعة وكأنه يريد الخروج من صدره ..

ارتمى على مقعد السيارة وأدار مفتاحها بهدوء و تناول الكاسيت و دفعه إلى الداخل وانتظر قليلاً وأجواق الغناء امتلأت في المركبة وأخذ يتراقص ويتمايل واعترته نشوة فاتنة وتذكر سفراته إلى الكازينوهات و رقص الغانيات وتمايل خصورهن حتى بعد أن تزوج لم يترك السفر للعب و اللهو و الشراب .

توقف قليلاً عن عبثه وأدار المقود وانطلق ناحية شقته الكائنة في شارع الستين .. فجأة الكاسيت بدأ يتآكل وتوقف صوت الغناء ورمى المسجل الكاسيت من جوفه كما يرمي الإنسان العلكة المنتهية من فمه ... لم يحاول ولو عبثاً إعادته فلقد تآكلت أشرطته واستسلم للأمر الواقع فهو الآن على مشارف الوصول إلى صومعته و ارتسمت الدهشة على وجهه مرة أخرى .

وصل وأوقف سيارته في أحد المواقف ، قبض على مفتاح السيارة لكي يطفئها لكنه شعر في هذه اللحظة أن المفتاح متشبث بمكانه حاول مراراً وتكراراً و تساقطت قطرات على جبينه من شدة المحاولة ورعونتها ، أسند ظهره على المقعد ليرتاح قليلاً ... أغمض عينيه وشعر باختناق في أنفاسه لا يعلم كيف حدث هذا الاختناق ؟ أخذ شهيقاً قويّاً من أنفه وحبس الهواء في جوفه لمدة ٧ ثوانٍ وطرده بقوة من فمه كرر هذه العملية ٧ مرات وما زال المفتاح لم يتحرك ، عاوده الاختناق من جديد ونبضات قلبه تسارعت وأطرافه ترتعش وكأنه غطس في بركة ماء شديد البرودة، يا ألله ما هذا اليوم ؟ فتح جميع نوافذ السيارة ليساعده الهواء الخارجي على التنفس بدأت أعضاؤه بالاسترخاء وقبض مرة أخرى على مفتاحه وأخرجه بكل سهولة ويسر من مكانه واعترته الدهشة من جديد .

نزل من سيارته ووقف لكي يغلقها شعر في هذه اللحظة وكأن شخصاً قبض على قلبه شعر بألم شديد استدار واتكأ على سيارته وتذكر كلام زملائه أنه هذا اليوم لم يكن في حالته الطبيعية ، في الأمس كان شديد القوى متماسك الأركان واليوم هزيل كالعود البالي ولما استدركته الأسئلة حاول بعزم أن يمشي بخطاه التي عهدها رصينة قوية لا تعرف الضعف ولا الهزل .

بدأ يمشي و خطواته لا تكاد ترفعه وتحركه شعر بدوران في رأسه ويكاد يسقط و استند على الجدار القريب من بوابة السكن و حاول أن يتدارك قوته لكنه لم يستطع ، ما الذي يجري ؟ شعر أيضاً بغثيان يصارع بطنه و ألم في رئتيه أنزل رأسه ينظر إلى خطواته شعر أنه على مرتفع عالٍ ويكاد أن يسقط فتشبث بالحديد المحيط بالدرج و اتكأ عليه وكأنه شائبٌ عجوز و واصل طريقه إلى شقته .

أخرج مفتاح الشقة من جيبه وفجأة سقط من يده وعندما نظر إلى يده رآها ترتعش وكأنه أصيب بمرض الرعاش ، انحنى ليأخذ المفتاح وارتطمت يده بالأرض حاول ليأخذ المفتاح لكن الرعشة منعته من ذلك، يا معين أعني لم يعرف الله في فترة قوته و شبابه لكن في ضعفه يعرف من هو الله يا للإنسان الجاحد الذي لا يخاف من جبروت الله وعظمته ويتمادى في عصيانه ويجعل الله أهون الناظرين إليه وإذا جاء العوز و الفقر توسل وعرف الله .... مع المحاولات والدموع التي أجراها بسبب هذا الموقف وشعوره بالضعف التقط أخيراً المفتاح .

دخل إلى شقته و كعادة زوجته تطفئ جميع أنوار الشقة لكنه عندما انتصب جسمه بالكامل داخل الشقة والتفت ناحية اليمين رأى أنوار غرفة الضيافة مضاءة .. هالته سحابة من الاستغراب والتفكير و

تزاحمت الأسئلة في مخيلته يا ترى من أضاء هذا النور ؟ ربما زوجتي نسيت إطفاءه .. أتعتقد ذلك يا فتحي ؟ لا أعلم لكن لا بد من اكتشاف الأمر .

بعد أن استعاد قواه قليلاً أغلق باب الشقة وأدار المفتاح أفقيّاً ، اقترب من ناحية الغرفة وكلما اقترب ازدادت إضاءتها وكلما اقترب أكثر كان يسمع همهمات وصوتاً بالداخل ، توقف ونادى بأعلى صوته المتقطع من هناك ؟ لم يأتِ إليه أي جواب !! اختلجته أفكار كثيرة هل زوجته هنا ؟ أو خانتني مع رجل آخر ؟ لا لا لا هي مؤمنة وتدرس حلقات دينية وتُدرّس الأطفال تعاليم دينهم ، كاد قلبه أن يتوقف لكن يا رباه ماذا يحدث .

سأتصل على زوجتي وأسألها .. أخرج الجوال من جيبه رآه مطفأً نهائيّاً وباستغراب كيف يكون ذلك وأنا لم آخذ ساعة من شحنه ؟ حاول أن يفتحه وبعد محاولات فتحه وهو يهز في جواله لكي يسرع في الوميض ، اشتغل الجوال وذهب إلى الأسماء ، اشتد ذهوله و جحظت عيناه استغراباً .. ماذا هناك ؟ لماذا كل هذه المصائب ؟ ماذا فعلت لماذا مُسحت كل الأرقام ؟ شعر بهلع انتابه يبدو أنّ هناك كارثة ستحدث عن قريب ، رمى جواله حتى اصطدم بالجدار وتناثرت أجزاؤه ، حاول الاقتراب بهدوء كالسلحفاة العجوز لكي يهتدي لهمهمة الصوت الخشن استند على الجدار وأخذ يحث الخطا خطوة تتلوها خطوة اقترب ودخل الغرفة وصدم مرة أخرى عندما رأى رجلاً جالساً بكل ثقة في إحدى زوايا الغرفة و قد امتلأ وجهه بالقسوة .

ناداه الرجل لا تستغرب يا فتحي مني ولا تخف فأنا صديق لك .

- يا رباااه من أين عرف اسمي ؟ .

- ما بك يا فتحي واقفاً هناك ؟ تعال واقترب

- ناداه فتحي ماذا تفعل هنا ؟ وكيف دخلت ؟ وبان الغضب على محياه لكنه غضب مخبأ خلفه الخوف و دقات قلبه تتسارع و أطرافه تكاد أن تتجمد ولسانه أصبح يثقل قليلاً هيا أخبرني قبل أن أقتلك .

- ابتسم ذلك الرجل يبدو أنك يا فتحي ما زلت على معاصيك وما زلت تفكر بالمعصية وما زالت رغبتك في مواصلة المعاصي ويبدو أنك لم تخشَ الله ولم تخف منه لكونك تجهل معرفة الله الجبار العظيم و خنت أكثر زوجتك المؤمنة العفيفة الطاهرة مرات عديدة وأردف الرجل قائلاً أنا سأخبرك أنك ليلة أمس خرجت مع امرأة لا علاقة لك بها !! واليوم طربت بالغناء !!

- ارتفعت حواجب فتحي حتى كادت أن تلتصق بشعر رأسه ... وكيف علمت بذلك ؟

- يا فتحي الإنسان عندما يعمل الخير أو الشر فإن هذا ينعكس على جوارحه وروحه الملتصقة بجسده وكلما عمل الخير ازداد نوراً و أحاطته هالة نورانية وسحابة ماطرة بالخيرات وكلما عمل الشر اتشحت روحه بالسواد وتغيرت ريحه وأصبحت نتنة قذرة حتى يصل أحياناً إلى درجة أقل من الكائنات الحيوانية وكلما ارتكب الانسان الذنوب أصبح قلبه وروحه مظلمين حتى لا يستحي من الله ويتمادى في الذنوب والمعاصي لكن يوم القيامة لكل عمل حساب . يا فتحي هذه الدنيا فرصة واحدة وأخيرة للإنسان وعليه أن يغتنم هذه الفرصة لكي يبني له القصور في الجنة وأن يحافظ عليها ولا يهدمها ، وأما لو انحرف عن طاعة الله فإنه سيلقى عذاباً شديداً وجهنم المظلمة التي توقدت لظى وسعيراً وماء الزقوم ينتظر العاصين ، والظالمون لا يرون فيها الراحة وما نار

الدنيا إلا جمرة من نار الآخرة والشمس التي حرارتها تضطرب انفجاراً ما هي إلا جمرة من الجحيم .

اصفر لونه و ازرقت شفتاه وارتجفت أعضاؤه وانفتحت عيونه و كبر اتساعها وكأنه يقول لماذا تقول هذا الكلام ؟ فهم الرجل ما يرمي إليه فتحي و قال أنا جئت ناصحاً يا فتحي لكن يبدو أن نصيحتي لا فائدة منها.

ارتعدت فرائص فتحي وتسارعت نبضات قلبه وشعر جسمه انتصب من شدة الخوف لم يتكلم ولم ينظر إلى الرجل ففي هذه اللحظات شعر أنه في عالم آخر وكأنه لم يعد جالساً على شيء وكأنه انطلق ناحية السماء حاول تحريك جزء من جسمه لم يستطع الحراك وكان الرجل يتكلم لكن فتحي لم يعد يسمع الحديث حاول التنفس لم يستطع حاول فتح عينيه لم يستطع ورأى نفسه وكأنه في الأحلام والرجل الذي كان جالساً معه قد تغيرت ملامحه فأصبح أسود كالليل المظلم قائم الشعر نتن الرائحة وثيابه السوداء المخيفة قد غطت كامل جسمه وكان يخرج من فمه ومناخره لهب النار والدخان المتصاعد ناحية السماء أين الصورة الحسنة ؟ لماذا تغيرت هكذا ؟ وبكى لكن دون دموع ماذا حدث أين أنا ؟ ناداه الرجل استعد يا فتحي فالفرصة قد انتهت بعد أن كانت الخيارات متاحة لك ، وهجم الرجل الذي تحول إلى ملك على قدمي فتحي وأخذ الملك يزاول عمله كما طلب منه ..

اتصل المطعم على جوال فتحي لكن جاءه النداء (الجوال مغلق حتى النهاية)

امرأة نادمة

كنت بنتاً شابة يافعة يتقاطر منها الجمال و أنوثتي البارزة أعطتني جمالاً وتألقاً أكثر وبعد انتهائي من الدراسة الثانوية تصارع الخاطبون على بيت والدي .

تقدم إليّ الكثير من الرجال لكني كنت أرفضهم وحاول بعضهم أن يحجزني لكني رفضت الأمر فأنا لا أومن بهذا الحجز لأننا لا نعلم القدر وفعلاً كنت جاهلة بالقدر الذي يحيط بي لقد كنت عمياء عن الكثير من تحديات الحياة لقد كان جمالي مبعثاً لتزايد الخطاب كل منهم يريدني لنفسه كنت أبحث عن فارس أحلامي الذي طالما حلمت به في مراهقتي ... ولكم أن تتخيلوا أن جميع الذين تقدموا لخطبتي لم أرَ بينهم هذا الفارس الذي أريده أن يكبح جماح أنوثتي و يحتضن أحلامي على صدره ... فقد جاءني الأبيض و القمحي والضعيف والمتين ورفضتهم في بدء الأمر لكوني أنتظر ذلك الشاب لكنه لم يأتِ فعلاً هل سأبقى مدى حياتي أنتظره ؟ وماذا يفيد الانتظار ؟ سوى الحسرة و الندم وضياع الشباب ... آااه من زمن نحن نقسو عليه بطموحنا المتعالي و المكابر ...

هذا الرفض أيتها الأخوات لم يدم طويلاً وأنتن تعلمن أن قرار المرأة عادة ما يكون ضعيفاً أمام إرادة الرجال و الأسرة وفعلاً غيرت رأيي عندما جلس والدي معي وأقنعني أن قطار الزواج قد لا يعود مرة أخرى فقال : حاولي أن تتخلصي من عقدك لكي تستقري في حياتك وتتالي

السعادة الحقيقية فالزواج لا يقوم على صفات بل على أخلاقيات لهذا حاولي الجلوس مع نفسك والتأمل في الموضوع فأنت ما زلتِ شابة يافعة جميلة كوردة ياسمين تفوح منها الرائحة الطيبة ...

وفعلاً جلست مع نفسي ورحت أسبح بأفكاري كالنحلة الشاردة لا تعرف أين تحط رحالها !! لحظة توقفت الأماني و الأفكار وكأن أحدهم قطعها بسكين اليأس ... اقتنعت مبدئيّاً لكن قلبي لم يقتنع وأجبرت قلبي على الخضوع للمجاملة... ضميري لم يكن في أحسن حالاته فهو أيضاً متألم لقراري لكني أنا بنت وأحتاج إلى رجل أتعلمون معنى هذا الكلام ؟ أتعلمون ما حاجة المرأة إلى الرجل ؟ دعكم ممن تقول إنها لا تحتاج إلى رجل أو من يقول إنه لا يحتاج إلى امرأة .... فالله سبحانه وتعالى خلقهما ليكمل كل منهما الآخر فهل سنعترض ؟ لكننا نبقى نواجه التحدي ..

اتخذت قراري وحزمت أمتعة سعادتي و دفنتها في كمد قلبي ... فعند أول خطيب وقد كانت مواصفاته بعكس ما أرغب وكأن الحظ يتحداني و عرف ما أعاني فجاء ليبدد أحلامي ... لم أرَ فيه ما يشعرني بالدفء كنت أبكي في داخلي بدون صوت بدون من يشعر بمعاناتي أنا أخطأت في قراري لكني ماذا أفعل وأنا امرأة أحتاج إلى رجل .... لكني لم أعلم أحداً بذلك و وضعت حجراً على قلبي ووافقت على الزواج و دموع قلبي زغردت للموت البطيء و كياني أصبح غير كياني و جسدي تجرد من تعابيره هل سأموت متحسرة نادمة ؟ يا رباااه ماذا عساني فاعلة ؟ أيتها السماء ارزقيني مطر الأمل و الأحلام لأتقوى على ضعفي ....

فترة الخطوبة لم أشعر بالراحة في داخلي حتى مع محاولات خطيبي لكني لم أستجب لنداء الحب في داخل ذلك الرجل ، ولكم أن تتخيلوا

ذهبنا إلى عدة أماكن من مطاعم و أسواق لكن خلايا الاستجابة توقفت لا لا أنا التي أوقفتها بطموحي وأحلامي .... كانت ملامحي الخارجية تعكس غير الواقع من أجل الحفاظ على مملكتي وأقولها بفم يعلوه الصدق إن زوجي كان كريماً معي لكني أنا لم أكن كريمة هل أنا خائنة ؟ هل أصبح قلبي قاسياً ؟ يا حسرتي على شبابي الذي دمرته بمعتقداتي المتبددة .

مرّت السنة على زواجنا أخبرته أنني أريد أن أقلل الجنس إلى مرة واحدة في الأسبوع وهذا ما رفضه في بداية الأمر لكنه ومن أجل كسب رضاي وافق في نهاية الأمر فعلاً لأول مرة أشعر أن الجنس ليس له طعم فأنا من بدد طعمه وأفسد لذته بغرور أحلامي وطموحي إن قلبي يتوجع فمن يشعر بأنوثتي ؟ ...

بعد مرور ثلاثة أشهر حملت بالمولود الأول و استعددت جيداً بشراء مستلزمات الطفلة وهذا الأمر قد غير شيئاً بسيطاً في سعادتي لم أكن راغبة في ذلك لكن الأمر أصبح مفروضاً وأصبحت ألزم نفسي أن تتقبل هذه الحياة ... هناك روح قادمة من أحشائي وكياني وقد تغير ما عشته من فروسية الأحلام .

وضعت مولودتي وقد أسميتها البندري لأني كنت أعشق هذا الاسم كعشقي لنفسي ودلعي وأنوثتي وكبريائي ... ربيت هذه البنت وأعطيتها كل ما تريد ، دلعتها .. أغدقت عليها من روحي و عطفي الذي كان متوجهاً إلى فارس أحلامي لكن يبقى في القلب شيء ...

اتفقت مع زوجي أني لا أريد أن أحمل على بنتي إلا بعد فترة طويلة قد تصل إلى أربع سنوات بحجة أني أريد تربية ابنتي أفضل تربية وقد انطلت هذه الخدعة على زوجي المسكين الذي شعرت في بعض

اللحظات أنني جرحته وكسرت رجولته لكنه ما زال يتحملني و ينفذ جميع طلباتي.

كبرت البندري و بلغت من العمر ثلاث سنوات وكانت صورتها مثلي طبق الأصل في الجمال وطول الشعر و الملامح الأنثوية و غمرتني السعادة لأني أصبحت مسؤولة عنها و خفت عليها كثيراً من غدر الزمن ...

جاء ذلك اليوم الذي ذهبت فيه إلى محل النظارات من أجل أن أعمل لي نظارة لأني شعرت بضعف في نظري وقد يكون هذا الضعف بسبب الولادة أو ... الله أعلم انطلقت مع زوجي وابنتي إلى محل النظارات الكائن في شارع النجاح ودخلنا إليه وقمت بالبحث عن الإطار الذي يناسبني ووجدت ذلك الإطار الذي يناسب وجهي وفي هذه الأثناء دخل المحل رجل أو بالأحرى فارس أحلامي ماذا أرى ؟ هل هذه حقيقة ؟ هل رأف الحظ و القدر بحالي ؟ لماذا جاء في هذا الوقت ؟ لكن قلبي استبشر طرباً هذا الرجل الذي طالما رغبت في الحصول عليه كان أسمر طويلاً وليس بالطول الذي يفقد الرجل جماله و عريض المنكبين و سكسوكته كانت بارزة كثيفة جذابة هادئة قد حددها بشكل جميل جدّاً كان يلبس نظارات طبية وهذه أعطته جمالاً أكثر ، كل ما فيه جميل كل ما يلبسه جميل يا رباااااه فعلاً كان هذا الرجل أسطورة ولم أتمالك مشاعري ونفسي و انضباطي فغزوته بنظراتي و فجأة ارتسمت على شفتي ابتسامة لا أعلم كيف زرعت على شفتي إنها الخواطر والقلب الذي انطلق من صمته وحزنه وأصبح يبتسم وضميري الذي تحرر من قيوده وسجنه واشتركا في زرع تلك الابتسامة على شفتي .

فجأة ولما نظرت ناحيته التقت عيناي بعينيه ونظر إلي و شعرت أنه يريد أن يبتعد بنظراته عني لكني كنت أقوى منه وبقيت نظراتي مركزة

عليه وأنا محدقة فيه فاغرة الفم و رأيته بخجل ينظر ناحيتي ويبتعد وأنا ما زلت أنظر إليه حتى رأيته نظر إلي نظرة عاطفية حنوناً جدّاً كالذي ينظر إلى ابنه وفلذة كبده و ارتسمت عليه ابتسامة شعرت بها صادقة ورحت أسبح في خيالاتي وانتقلت من مرحلة إلى مرحلة أعدو بينها بطموحي و عنفواني و شهوتي لكني لم أتوقف عند حدود معينة و رحت أتغزل به دون أن يعلم بذلك و حواسي شعرت بها تتراقص على تلك النظرات التي أسهبت في بناء أنوثتي ورغباتي التي انغمست تحت الطموح والآن أراها تنطلق إلى ذلك العالم الجميل عندما رأيت ذلك الرجل وتخيلته كيف يضمني ويقبلني نعم كنت امرأة لا تستحي من خيالها و كنت أريد أن أعيش يومي قبل مماتي نعم وأعلم أن الكثير سيطلق عليّ الكثير من عبارات القسوة و التحريم وقد يجلدني القدر لكني لم أفكر في كل ذلك إنها حياتي وأنا ملتزمة بها لكني أريد أن أعيش كسائر البنات .

غمزت له وهو أيضاً غمز لي و ابتسمت وهو ابتسم وحاولت أن أوصل له بلغة الإشارة أن يعطيني رقمه وهو فهم ذلك المقصود وخفت في بدء الأمر أن لا يعرف كيف يعطيني رقمه لكنني أحسست أنه قادر في نفس الوقت اخترت الإطار المناسب لنظارتي وعمدت في هذه الأثناء أن أخرج من المحل مع زوجي وبالفعل خرجت من المحل لكنه لم يناولني رقمه وهنا شعرت بالخوف أن تتبدد أحلامي لكني ابتكرت سيناريو جديداً حتى قلت لزوجي بعد أن ركبنا السيارة وبرفقتنا البندري: لقد نسيت أن أقول للعامل متى سينتهي منها .. قال زوجي دعيني أنا أنزل وأخبره بذلك فقلت لا لا سأخبره أيضاً أنني أريد نوعاً معيناً من الزجاج للنظارة لن أتأخر وسآتي في أسرع وقت ، وفعلاً نزلت مسرعة ودخلت إلى المحل و عدت وغمزت للرجل من جديد وأخذت أتصنع الكلام للعامل الآسيوي

في المحل وقام الرجل بكتابة رقم جواله في ورقة وهممت بالخروج وناداني وقلبي ينتفض كالطير المذبوح وجوارحي ارتعشت لا تعرف كيف تتحرك وكأنما أصابها جاثوم النوم أريد الحراك لكني أريد الحلم آاه على ذلك الحلم هل سيتحقق ؟ وقال لي أختي لقد سقطت منك هذه الورقة وناولني الورقة .

انتظرت في الصباح خروج زوجي إلى العمل وأخذت قصاصة الورقة وفتحتها ونظرت إلى الرقم وعلت وجهي ابتسامة حيث شعرت أن خلف هذا الرقم سعادتي و أحلامي التي طالما حلمت بها وأنني سأبدأ حياة جديدة مع هذا الرقم ، تناولت جوالي و اتصلت على الرقم وأخيراً رفع صاحب الجوال وبادرته بالسلام .

- قال من معي ؟

- قلت له صاحبة النظرات في محل النظارات وأنا أشعر بسعادة غامرة أيتها الأخوات فصوته كان رجوليّاً ساطعاً .

- قال أهلاً وسهلاً كنت أنتظر اتصالك بفارغ الصبر أيتها الجميلة.

استمر الحديث عن المشاعر التي كانت متبادلة بيني وبينه في المحل و عن السر في تلك النظرات وكيف كنا متقاربين في المشاعر و الأحاسيس الجميلة ،، استمر الحديث تقريباً أكثر من ساعة شعرت من خلالها أن روحي تحررت من القيود وانطلقت إلى حريتها التي كانت تبحث عنها في عالم لم ترغب فيه أساساً و بعد إنهاء المحادثة ودعته وطبعت قبلة على جوالي واحتضت جوالي ، كان الرجل أيضاً متزوجاً وعنده ولد يكبر ابنتي بأربع سنوات ولم تنجب زوجته أي طفل لأنها كلما حملت سقط الجنين لهذا نصحها الأطباء بعدم الحمل مرة أخرى لكي لا يؤثر ذلك على حياتها وأخبرني أيضاً أنه غير مرتاح في حياته الزوجية .

استمر الحديث معه ما يقارب أربعة أشهر حيث بدأت علاقتنا تتوثق أكثر وأكثر و بعدها أخبرته أنني أريد إيميله لكي أرسل إليه بعض الصور الرومانسية وبعض الإيميلات التي تنال إعجابي فأنا أريده أن يشاركني فرحتي و سعادتي وكل شيء في حياتي وسأخبركم أكثر أنني شعرت أنه زوجي الثاني وأنه أفضل من زوجي و بالفعل أرسل إلي إيميله وأخذنا نتحدث على المسن حتى طلب أن يراني بواسطة الكام ولم أتردد في الأمر حيث هي رغباتي الجامحة المكبوتة شعرت ناحيته بالثقة وبعد أن شاهدني عن طريق الكام أرسل إلي صورته وهو في سن الخامسة عشرة كان جميلاً جدّاً وتمنيت الأمنية التي لم أعر معها للمواثيق وللدين أي اعتبار حيث تمنيت لو تزوجني وتزوجته وقد أخبرته بتلك النية .

في أحد الأيام بعد أن هيأت الأمر دخل إلى الشقة لكنه وقف عند الباب حيث خفت أن تجلس البندري كانت اللحظات ثمينة لا تقدر بثمن و احتضنني واحتضنته بقوة وشراسة كدت أن أندمج في صدره و ضلوعي لامست صدره البارز حتى شعرت بالدفء والحنان وأخذ يمسح على ظهري وأمسح على كتفيه ... وهنا انقطعت حبال الوصل و الحقيقة تناثرت و انكمشت في تلابيبي بعد أن سمعت صوت البندري يناديني حيث جلست من نومها وقفزت من سريرها وجاءت إلى باب الشقة ورأتني في تلك الحال و حالاً دفعت الرجل إلى خارج الشقة وسألتني ابنتي بعفويتها ولسانها الطفولي البريء .

- من هذا ماما ؟

- قلت لها بلهجة حادة قليلاً إنه والدك جاء ليطمئن علينا .

- قالت : لماذا لم يدخل ؟ ويسلم عليّ كعادته عند عودته من العمل ؟

- قلت لها إنه متأخر وأرادني في موضوع مهم و لا تخبريه بأنه جاء اليوم لأني قلت له بأن البندري لا تعلم بأنك قادم وإذا لم تخبريه فسأعطيك صندوق حلاوة جواهر وفرحت ابنتي وبالفعل لم تخبر والدها بهذا الأمر ...

بعد مرور سنتين ذهبت البندري إلى الروضة في الحي القريب من السكن الذي أسكن فيه وهذا الأمر جعل لقائي بفارس أحلامي أكثر سهولة ولكن لم يكن ليراني في الأسبوع سوى مرة أو مرتين وذلك يعود إلى ظروف عمله حيث كان يعمل مراسلاً في إحدى الدوائر الحكومية ولهذا يستغل فرصة خروجه ويأتيني ، كانت تلك الأيام الأكثر سعادة وجمالاً في حياتي كنت أشعر فيها بأنوثتي وكبريائي وغروري ولذة الحياة استمتعت كثيراً بتلك اللحظات التي كنت أعيشها بكل تفاصيلها.. كان جذاباً رومانسيّاً .

طلب زوجي مني وبعد أن دخلت البندري الروضة أن أنجب له مولوداً وترددت في بدء الأمر لكون ذلك سيبعدني عن فارس أحلامي في فترة الحمل لكن إصرار زوجي دفعني إلى أن أستسلم للأمر .

أخبرت فارس أحلامي بالأمر وشعر بالحزن و التوتر حيث سيضطر إلى الابتعاد عني فترة الحمل ولكي لا تختلط النطف وكان هذا الأمر الوحيد الذي أخذته بالحسبان فالمرء مهما ارتكب المعاصي فإن لديه قلباً وضميراً و شعوراً بالندم وهذا لا يجعل المرء يخرج عن دائرة إنسانيته .

وبعد الانتهاء من النفاس ومرور ثلاثة أشهر على ولادتي حيث آخر شهر من ولادتي انقطعتُ عن الاتصال بفارس أحلامي لكي لا يؤثر ذلك على الجنين فكثرة المحادثة على الجوال والجلوس على النت وأمام

شاشة التلفزيون قد تؤثر سلباً على الجنين وقد أخبرت الرجل بكل الأمر وتفاصيله وأني لن أتحدث إليه و بعد ثلاثة أشهر و ٥ أيام اتصلت به لكن الجوال المطلوب لا يمكن الاتصال به ، حاولت ليس مرة أو مرتين بل ١٠٠٠ مرة لكن الجوال مغلق و أرسلت إليه رسالة على المسن ولا يجيب وعلمت أنه حظرني من قائمة الاتصال لديه وشعرت بعدها أن ذلك الفارس كان سراباً ورحل ولم يودعني ولم يعلمني برحيله حتى جاءت سحابة الهموم فوق رأسي ولم تغادرني و أصبحت أتصنع كل ما هو جميل وسعيد في حياتي ورجعت كآبتي من جديد ...

وبعد مرور ١٧ سنة أصبح عمر البندري ٢٢ سنة وولدي نادر أصبح عمره ١٦ سنة وقد حاولت كل تلك الفترة نسيان ما جرى وبالفعل ومع مرور الأيام نسيت الأمر وعشت أيامي في تربية ولديّ اللذين لم أنجب غيرهما لكوني تعرضت لبعض الأمراض في رحمي وفي حياتي كلها ، فتربية الأبناء تنسيك الكثير من الهموم على الرغم من الشعور بالحزن على فراق الأحبة لكن فطرة الحياة تفرض علينا النسيان ولهذا سمي الإنسان بالإنسان فما أجمل النسيان أحياناً .

ذات يوم راودتني الشكوك حول ابنتي لأني أشاهدها تمكث طويلاً على المسن وأحياناً تغلق غرفتها وتتحدث بالجوال وصوتها يكون خافتاً جدّاً لا يسمع منه سوى همهمة وتطيل الحديث لكني لم أحاول معرفة ماذا يحدث فحملت ابنتي على محمل الخير و الصلاح .

ابنتي البندري في أحد الأيام تأخرت في العودة إلى البيت و زاد شكي في الأمر وجعلني أكثر استغراباً وعندما اتصلت بالسائق السعودي الذي يوصلها إلى الجامعة مع زميلاتها في نفس الجامعة أخبرني أنها لم تذهب اليوم إلى الجامعة و عندما اتصلت بجوالها كان جوالها مغلقاً

يا رباااه ماذا يحدث ؟ هل اختطفتها الأرض ؟ هل ذهبت إلى المريخ ؟ هل ماتت ؟ آاه من الحيرة التي تقطع القلب فالبنت تكون أكثر عرضة للخطر وذنبها تحمله مدى الدهر ... قد تكون ذهبت إلى بيت صديقتها لكني لا أملك رقم جوال صديقتها .

اعتراني الخوف كثيراً حيث اقترب مجيء زوجي إلى البيت و ابنتي لم تحضر وجاء والدها وهذا السيناريو لم أتوقعه و سأل عن ابنته ولم أجد حلّاً غير أن أكذب عليه وقلت له : إنها مع صديقاتها من أجل المذاكرة حيث كانت تلك أيام اختبارات وشعرت كثيراً بالخوف والقلق ولا أعرف ماذا أفعل وعند المغرب دخلت ابنتي و ليتها لم تدخل رأيت وجهها متغيراً شاحباً وعلامات التعب على وجهها واضحة و خمول على أطرافها وكأنها سكرى أخذتها مسرعة إلى غرفتها وأغلقت الباب و تحدثت معها و كنت أرغب في الحصول على الحقيقة .... في بدء الأمر رفضت أن تخبرني لكنني أصررت على أن تكلمني و شرارات الغضب تتطاير من رأسي سأقتلها سأقتلها ...

قلت لها سأكون لك ستراً وغطاء و قامت ابنتي بوضع يديها على وجهها وأجهشت بالبكاء و أنا أنظر إليها بحسرة و كدت أفقد صوابي و زممت شفتي و أرجعت خصلات من شعري خلف أذني عندها علمت أن هناك خطباً ما حدث لها وبعد أن هدأت عاصفة البكاء أخذت بمباشرة الحديث معها من جديد و أصررت عليها أن تخبرني بكل التفاصيل .

أخبرتني أنها كانت خارجة مع شاب ولم تكد تخبرني لأن كلماتها تخرج متثاقلة استمرت في الحديث و أخبرتني أنها كانت تعرفه عن طريق إحدى الدردشات التي كانت تدخلها وتعرفت عليه وأعطاها جواله وإيميله وأرسلت إليه صورها حتى اتفقا على هذا اليوم وخرجت

معه وحدث ما حدث من الآن لم تعد البندري بنتاً ماذا أفعل ؟ هل أقتلها؟ أمزقها ؟ أحرقها ؟ أدفنها حية ؟.

شعرت بالانهيار وقتها وقمت أضربها دون شعور و أنا أبكي حرقة على ابنتي التي ضاعت في طموحها ورغباتها وشبابها لهذا توقفت فجأة عن كل ذلك وجلست على الكرسي وكأنني أحقق معها وابنتي أخذت تتألم وتبكي وتتأسف لكن لا يفيد الأسف هنا ؟ فكل تربيتي باءت بالفشل وتحطمت على أهواء ونزوات عابرة وكيف ستصلح الأمر؟ سألتها عن اسمه و قالت اسمه (فلان ابن فلان ابن فلان) وأشرت بيدي وقلت لها توقفي وعلت وجهي غرابة و هززت رأسي وكأنني أزيح عنه غباراً أو خيوط عنكبوت وقلت لها أعيدي نطقت الاسم وقالته بالكامل وتذكرت عائلته و بكيت بحرقة أكثر وأكثر حتى حل الاستغراب من ابنتي وليتها هي تقوم و تضربني وتقتلني وتمزقني وتحرقني. كان هذا الولد هو ابن ذلك الرجل الذي التقيته في محل النظارات ....

وطننا واحد وكلنا واحد

في جامعة الملك سعود وبعيد الانتهاء من صلاة المغرب قام مرتضى بترتيب الغرفة التي يسكنها مع زميله زياد ، نظّف سريره وسرير زميله و رتب أيضاً طاولة المذاكرة وبعد الانتهاء من الترتيبات اتصل على مطعم ماما نورا يوصيه على العشاء .

جلس إلى طاولته يقرأ في منهج الفيزياء حيث يدرس في كلية العلوم ولم يبقَ على تخرجه سوى هذا الفصل الدراسي ...راجع دروسه التي درسها هذا اليوم وفي يده قلم وورقة يحاول أن يستنتج بعض العمليات المعقدة ويحلها .

بعد مرور ساعة دخل زياد الغرفة ..

- زياد : السلام عليكم ... و على وجهه ابتسامة شوق إلى صديقه مرتضى .

- مرتضى : وعليكم السلام ورحمة الله ... نهض وسلّم عليه .

- زياد : اليوم الجو جميل جدّاً اللهم لك الحمد على هذه النعم ... و إن شاء الله أحصد الدرجة كاملة في اختبار مادة اليوم.

- ابتسم مرتضى : أنا واثق منك يا صديقي وأنت ما شاء الله عليك من أيام الدراسة دوماً متميز ومثل ما يقولون دافور هههه .

- علت وجه زياد حمرة بسيطة خجلاً من كلام مرتضى و أردف قائلاً

حتى أنت يا صديق قلبي دوماً متفوق وما شاء الله على طول امتياز ... و ضحك الاثنان معاً .

– مرتضى : كلّك ذوق ... الله لا يحرمني منك وعلى فكرة طلبت لنا عشاءً من مطعم ماما نورا

– زياد : أمممم أنا ما بعد أصلي وإن شاء الله ما يتأخر لأني جوعان و نفسي أحضّر لموضوع مادة اللغة العربية غداً ،،، كان زياد طالباً في كلية الآداب .

– مرتضى : أنا صليت المغرب مع العشاء لكني سأصلي العشاء مرة ثانية خلفك يا صديقي ..

توضأ زياد و جدد مرتضى وضوءه وتقدم زياد وكبّر واصطف مرتضى إلى يمين زياد ... بعد الانتهاء من أداء الصلاة ، رنّ جوال مرتضى وإذا المطعم قد وصل .

بعد تناولهما العشاء ، قاما و نظفا المكان و غسلا الأواني و رتباها وبعد أن حضّر زياد مادة اللغة العربية توجه بالسؤال إلى مرتضى .

– عندك شيء ضروري بكرا ؟ وعلى وجهه بعض علامات الاستفهام.

– لا يا صديق قلبي ... كأنك تود الحديث عن شيء ضروري .

– لا يا صديق عمري لكني أشعر بالضيم و القهر يمزق وجداني .

– اعتدل مرتضى على كرسيه وشعر أن الموضوع بالفعل يحتاج إلى التركيز وعدم الانشغال في أي شيء آخر .... ووجه نظره ناحية زياد تكلم يا صديقي فكلّي آذان صاغية .

- يا مرتضى اليوم سمعت خبراً أن هناك شجاراً بين بعض القبائل العريقة و الكبيرة في بلادنا .

- آهاااا ... وماذا حدث بعد ذلك ؟

- والله يا صديقي لولا تدخل بعض كبار القبائل و بعض المسؤولين جزاهم الله خيراً لكانت الدماء سالت في الشوارع والأزقة وكأن فيضانات أصابت المدينة .

- زياد : أنا بصراحة أقول يا مرتضى إلى متى هذه الخلافات القبلية في مجتمع أنعم الله عليه بنعمة الإسلام و الحرمين الشريفين ...

- مرتضى : الله سبحانه وتعالى يقول " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " بصراحة أقول نحن نتبرأ من هذه الخلافات و الحساسيات التي تتولد جراء خصومة على فدان من الأراضي أو على زواج غير متكافئ النسب ليه هذه العنجهيات القديمة ؟ بصراحة كيف نبني مجتمعاً وطنيّاً قويّاً متماسكاً يحمل في طياته وحدة إسلامية أخوية اجتماعية ؟ ونحن نفكر في هذه العادات الجاهلية الحجرية .

- زياد وقد تفاعل مع مرتضى : أحسنت يا صديقي هل هذه الخصومات القبلية ولّدت انتصاراً معيناً ؟ أو فخراً لقبيلة على قبيلة ؟ لا وألف لا .. و مرتضى يهز رأسه .. واصل زياد حديثه قائلاً ... بالعكس هذا التناحر القبلي يولد انهيار المجتمع الوطني وفقدان الأمن في أقوى دولة أمنية في المنطقة ... بصراحة لماذا هذه النظرية نظرية عدم تكافؤ النسب ؟ هل ولد الإسلام من أجل ذلك ؟ هل عندما أراد الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أن يتزوج قال زوجوني من امرأة من نفس قبيلتي ؟ يا أخي متى سنطبق الإسلام ؟ ليس الإسلام مجرد لغلغة لسان .

- مرتضى : هدئ من روعك يا صديقي وإن شاء الله الأمور تتحسن وشوف (قالها مرتضى بلسان الواثق) هذه المنازعات القبلية فعلاً تولد البغضاء بين أبناء الوطن الواحد وتشتت جهوده ويسهل اختراق أي مجتمع قبلي متخاصم فنحن لا نريد مجتمعنا مقسماً إلى قبائل أو عوائل فهذا الأمر يولّد الخصومات بين الأفراد وتبقى الأجيال تتوارث هذه الخصومات وحتماً سيصبح المجتمع ممزقاً تمزيقاً كالخشبة البالية المتهالكة نحن نريد وطناً صلداً قويّاً ركائزه إسلامية ... لنترك النظرة السيئة لأي قبيلة و لنترك نظرية عدم تكافؤ النسب و لنعش يداً بيد في هذا الوطن الغالي ..

- زياد : بارك الله فيك على هذه العقلية النيرة يا صديق عمري .

- مرتضى بخجل : إن أهم ما يهمنا هو هذا الوطن الذي نفديه بأرواحنا ومهجنا . لا نريد أيضاً التقسيم الطائفي .

- اعتدل زياد في جلسته وكأنه يشاهد التلفاز .

- انطلق مرتضى في الحديث وقال : أيضاً إن تقسيم المجتمع طائفيّاً هو ما يصبو إليه من يريد بوطننا الانقسام من أجل السيطرة على ثرواتنا و لطمس معالم الإسلام الحنيف وليسهل الولوج إلى وطننا وجميع الأوطان المقسمة هذا التقسيم .

- زياد : نعم نعم إن أي تقسيم طائفي يدعو إلى وجود بوادر فتنة قد تكون دموية لكل الأطراف فتقسيم المواطنين هذا شيعي وهذا سني وهذا زيدي وهذا إسماعيلي وهذا أشعري وهذا صوفي إلى آخره ، و التأسيس لهذه النظريات وتدويرها والعمل عليها من شأنه أن يولد أيضاً الأحقاد بين كل الطوائف من المسلمين وهذا يخدم أي قوة غاشمة تريد الشر

بمنطقتنا ، فالإسلام تعايش مع الجميع من الأديان الأخرى كالنصرانية و اليهودية فكيف نحن لا نتعايش مع الطوائف المسلمة؟؟؟!!!

- مرتضى : للأسف هناك من ساهم في تأجيج الفتنة وحاول أن يشعلها لكن رجال حكومتنا الرشيدة وقفوا جداراً منيعاً لهؤلاء الزمرة الفاسدة فهناك من استغل منبر الإعلام من أجل تكفير طائفة أو تهميش طائفة أو قتل طائفة وليعلم الجميع أن هؤلاء مأجورون من قوى خارجية ليقوم المسلمون فيما بينهم بالتناحر و القتل وللأسف هناك من يقال عنهم مثقفون تنطلي عليهم مثل هذه الأكاذيب فيتجهون إلى نار الطائفية و يؤججونها ليخدموا بطريق مباشر أو غير مباشر أصحاب الفتنة و القتل .

- زياد وهو ينظر إلى صديقه نظرة إعجاب : نعم صدقت في ما قلته هناك الإعلام ساهم في بناء هذه التوجهات السلبية في المجتمعات ولكن ما يهمني هو مجتمعي السعودي نريد أن نعيش بسلام ومحبة و إخاء لا ننظر إلى معتقد فلان أو مذهب فلان أو ما قاله فلان ينبغي أن نعيش مسلمين متحابين يدنا واحدة كلمتنا واحدة قلبنا واحد ويكفي أنه من نطق الشهادتين حرم سفك دمه وهتك عرضه وإباحة ماله لماذا لا نعيش بهذه النظرية نظرية الإسلام الشمولي فالإسلام يكفل الجميع لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى وأكرمكم عند الله أتقاكم علينا أن نؤصل في أنفسنا حب الغير و أن نتماسك أكثر أيها الإخوة في الله ..

- مرتضى : جزى الله حكومتنا الرشيدة خير الجزاء التي تعكف على توحيد الصف بين الطوائف المتعددة وبين القبائل المختلفة في المجتمع السعودي لعلمها أن توحيدهم على كلمة واحدة قوة ضاربة لكل من تسوّل له نفسه العبث بهذا الوطن وليثق الجميع أن وحدة الكلمة أقوى

من أي سلاح في العالم حتى أقوى من السلاح النووي فطالما هذه الكلمة واحدة لن يستطيع الشيطان الدخول في مجتمعنا ولقد أقيمت المؤتمرات و الندوات من أجل أن يكون المجتمع طبقة واحدة وكلمة واحدة هدفه واحد إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

- بوركت يا صديقي وأيضاً أضيف أنه سبحانه وتعالى لن يحاسب هذا لكونه شيعيّاً أو سنيّاً أو ما شابه ذلك بل سيحاسبه ماذا فعلت من خير وشر ؟ وهل أديت الواجبات ؟ فلنع ماذا نفعل ولنكن مجتمعاً له كلمته و مجتمعاً ثقافيّاً رصيناً لا يحمل الحقد على أحد ولا ينظر أيضاً إلى العنصرية البشرية هذا أسود وهذا أبيض لأن هذا من شأنه تمزيق عرا الإسلام الأصيل .

- نعم نعم فهناك من يشمئز من كون فلان أسود أو أبيض أو معاقاً فيقوم بالاستهزاء على ما خلقه الله سبحانه وتعالى و ينظر إليه بنظرة أن هذا الإنسان لا قيمة له وهو يضرب قول الله تعالى " ولقد كرمنا بني آدم " عرض الحائط و يقوم بعمل السخرية على فلان أو على شعب عربي آخر أو على عامل نظافة و يستحقرهم و يهينهم هل يا ترى هذا تصرف إسلامي محمدي أصيل ؟ أو بصراحة تصرفات جاهلية في عصر التقدم الحضاري ؟ .

- وأزيدك يا مرتضى أيضاً : البعض للأسف لا يعتبر المرأة شيئاً في الحياة فهي مجرد وعاء تلد الأولاد وتربيهم وتطبخ فقط ليس لها قيمة فهي فقط في البيت لا يحق لها أن تخرج حتى مع زوجها لتلطيف الأجواء بل عليها البقاء هناك حتى الموت وتلقى ما تلقى من الضيم و الاضطهاد ولك أن تتخيل أن بعض المجتمعات للأسف إذا كان هناك

مأدبة للضيوف يأكل الرجال أولاً و المتبقي تأكله النساء سواء بقي أو لم يبقَ فهي لا قيمة لها وكأنها حيوان أعزكم الله يأكل ما تبقى من أكل الرجال فهل هذا تصرف إسلامي ؟ أو وأد للنساء بطريقة أخرى ؟ ولك أن تتخيل أن الزوج يخجل أن يتحدث مع زوجته خوفاً من سقوط رجولته وهيبته وعظمته وليس لها قرار في بيتها ، وعلى رغم كل ذلك تتحمل المرأة الضيم و تتحمل الأذى و لو لا سمح الله حدثت إعاقة للزوج فإن الذي يقوم به هو تلك المرأة التي تجاهلها كامرأة وأصبحت ترعاه بعد أن طمس أنوثتها في ريعان قوته ... للأسف متى سنتخلص من هذه الظواهر التي تسبب تفكك الأسرة والمجتمع ؟

- بوركت يا صديقي .. وأنا عندي أمل أن المجتمع سيكون على قدر كاف من الوعي و الاتزان وسيصحح الكثير من المعتقدات الاجتماعية التي تضر بهيكلة المجتمع الإسلامي وأيضاً أود الحديث عن موضوع الإسراف في الأكل وهذا آخر موضوع نتحدث فيه لأن غداً تنتظرنا دراسة وابتسم مرتضى وزياد واستطرد مرتضى قائلاً للأسف البعض يعتقد أنه إذا زاد الأكل هو الكرم وكل هذا الأكل يرمى في القمامة وللأسف هناك فقراء محتاجون إلى مثل هذا الطعام ، إذا تبقى شيء من الطعام فاذهب به إلى بيت فقير أو بيت عمالة أجنبية أو سلمه إلى جمعية خيرية وهي تتكفل بهذا الأمر .

تنفس مرتضى وزياد الصعداء وكأنهما يريدان نفساً يساعدهما على التنفس جراء هذا الحديث الطويل وقام زياد وناول مرتضى كأساً من الماء.... وقبل النوم أخذ كل واحد منهما مصحفاً وقرأ صفحتين منه فهما ألزما أنفسهما أن لا يتركا القرآن الكريم و يوميّاً يقرأان منه صفحتين أو ثلاثاً، و وقّتا الساعة للجلوس عند صلاة الصبح و

انتهيا إلى النوم و ارتخت عضلاتهما و تفكيرهما الذي تدفق بالكلمات و المعاني الجميلة حتى سبحا في عالم الراحة و النوم .

رنّ منبه الساعة وجلس الاثنان وتوضأا و تقدم مرتضى للصلاة وصلى خلفه زياد وجلسا يستعدان للدراسة وترتيب الملابس فهذا يوم الأربعاء فكل يوم أربعاء يرتبان ملابسهما وينزلان إلى أهلهما في الأحساء بعد أن ينتهيا من المحاضرات التي تنتهي عند الساعة الواحدة وتناولا إفطارهما ... وبعدها جلسا يتذاكران دروسهما لهذا اليوم و استعد مرتضى للخروج وقبل أن يخرج قال زياد : مثل ما أخبرتك قبل أسبوع أهلي سيأتون ليلة الجمعة عندكم بالبيت .

- مرتضى : حياكم الله و البيت بيتكم .

عند الساعة الواحدة حزما أمتعتهما وانطلقا إلى الأحساء والأمل يحدوهما والشوق إلى أهلهما يتدفق في وجدانهما فالبعد عن الأهل و الأرض يولد لدى الشخص إحساساً بالمسؤولية أكثر و أكثر والحنين يتقدمهما ، وفي أثناء ركوبهما القطار أخرج كل واحد منهما رواية يقرأ فيها ليأنسا بذلك الطريق ولتزداد ثقافتهما فكراً و علماً فطالما الإنسان يقرأ مع الكتاب فإن عقله يستوعب أكثر ويكون قادراً على كشف الأمور.

* * *

ليلة الجمعة :

اتصل زياد بمرتضى وأخبره أنه مع أهله على باب البيت ... خرج مرتضى مسرعاً ورحب بزياد ووالده ....

جلس زياد ووالده وبالقرب منهما مرتضى وبعد لحظات دخل والد مرتضى ورحب بالجميع و جلس والد زياد مع والد مرتضى وتم تقديم الفواكه و الشاي و القهوة حيث هذه من عادات وتقاليد المجتمع السعودي في إكرام الضيف ويختلف على حسب اختلاف المناطق وعلى حسب اختلاف التقاليد والعادات الكريمة لدى الشعب السعودي فهم معروفون بحسن الضيافة لأي شخص يدخل ديارهم .

بعد هدوء لم يدم طويلاً تكلم والد زياد وبكل ثقة تامة فوالد زياد رجل أعمال معروف ولديه الخبرة في العلاقات الاجتماعية لكونه عضواً فعّالاً في إحدى الجمعيات الخيرية وأيضاً لديه مشاريع خيرية للفقراء و المحتاجين ويملك عقلية جبارة في التعامل مع كل معطيات الحياة ناهيك عن الأخلاق العالية

- قال : يا بو مرتضى جيناكم الليلة ونطلب يد ابنتكم زينب إلى ولدنا زياد ..... و استهل وجه زياد فرحاً .

ابتسم والد مرتضى الذي يعمل في شركة كبرى فهو مدير المبيعات فيها وعند دخوله الشركة ارتفعت نسبة المبيعات بفضل عقليته الرزينة و أيضاً ملامحه الهادئة و طيبة قلبه

- قال : الحمد لله .. نعم زياد رجل معروف بالأخلاق و حكمة العقل و الاتزان في تعامله و دراسته وأمامه مستقبل زاهر مفعم بالحياة و الأمل .

- مرتضى قال : و ما شاء الله عليه يعرف يطبخ بعد .

اتفق الجميع على كل شيء بخصوص الفحص الطبي و مصاريف الزواج و العقد و المهر .. انتهى المجلس و قبل الخروج قال أبو مرتضى

و قد وضع يده في يد أبي زياد وهو ينظر إليه بعين الأخوة و الصداقة والاحترام ... إن شاء الله الأسبوع القادم رايح نزوركم مثل هالوقت ..

بعد مرور أسبوع استعد مرتضى و والده و أمه و أخته زينب للذهاب إلى بيت زياد و بالفعل انطلقوا وفي خيال مرتضى خيالات تشدو به إلى عالم الاستقرار و البحث عن الأمل فالزواج له طعمه ونكهته الخاصة .

بعد أن اجتمعوا في المجلس خطب مرتضى أخت زياد عاتكة و تم الاتفاق على كل التفاصيل و تزوج (مرتضى و زياد) في ليلة واحدة و عمت الأفراح و المسرات جميع الأهل .

بعد أن تزوج (مرتضى و زياد) و بعد أن أكملا نصف دينهما عاشا في نعيم وسعادة لا توصف وغمرتهما العناية الإلهية بالإخلاص في حياتهما لأنهما أخلصا لله في أعمالهما ويقول الله تعالى " ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً × ويرزقه من حيث لا يحتسب " أتما دراستهما وتخرجا بعد أن حصل كل منهما على شهادته العلمية لكنهما لم يستندا على هذه الشهادة فهي فقط لزيادة المعرفة لهذا تكاتفا معاً ووضع كل منهما مبلغاً من المال وأسسا لهما شركة عقارية بسيطة و عملا فيها ما يربو على سنتين حتى أخذت شركتهما في النمو والازدياد و توسعت أعمالهما إلى خارج حدود الأحساء وبعد مضي الوقت أصبحت شركة عملاقة لها استثمارات في الخليج و يعود هذا إلى إخلاص النية لله سبحانه وتعالى و طرح كل ما يشوب العلاقات الأخوية الإسلامية و فتحا دوراً للأيتام و الفقراء وأسسا جمعية لحفظ التراث الوطني الغالي بعيداً عن المذهبية و القبلية و المناطقية .

قتلتني زوجتي

لفّني الملل كما تلتَفُّ الأوراق حول أغصانها و بحثتُ عن علاج فلم أجد بُدّاً من الذهاب إلى المقبرة وهذا ضرب من الجنون فالمقبرة وحدها تبعث الضيق و كتمان الأنفاس ولكن لماذا لا أكسر الروتين ؟

وصلتُ إلى المقبرة و داخلتني رعشة و خفقان حتى كاد قلبي أن يتوقف لكن عزمتُ على المضي قدماً في تبديد الملل ، حتى دخلت إليها ونظرتُ إلى آفاقها الواسعة و خاطبت نفسي : ماذا يفعل هؤلاء تحت تلك الأتربة؟ وكيف يعيشون ؟ إنها حقّاً حياة أخرى لا نعلمها ، وضعت التحدي نَصب عيني و قلتُ أريد أن أعرف كيف مات هؤلاء ؟ وعليّ أن أختار قبراً وفعلاً وقعت عيني على أحد القبور قد جذبني ترابه إليه وأحسست أن تحته شيئاً أستطيع أن أعرفه ، اقتربت منه وجلست بجانبه و أخذت أصرخ بأعلى صوتي على صاحب القبر ولم أسمع جواباً لكني عاودت مرة ثانية وثالثة حتى تعبت و شربت ماءً أخذته معي و ما هي إلا لحظات معدودة حتى خرج شخص كالشبح وعلى وجهه إعياء و ملابسه لا تكاد تستره وجلس قريباً مني و شعرت أنه في عجلة من أمره وبدأت معه حواراً عن أسباب موته بعد أن زال الذعر عني .

ابتسم ابتسامة نكراء أخفى وراءها سخرية و بعد أن نفض جزءاً من الغبار العالق في ثيابه قال : يا سيدي إنَّ سبب موتي هو زوجتي التي لم أعرف إلى الآن ماذا حدث لها في الدقائق الأخيرة من حياتي ، أنا تزوجت امرأة وفق اختيار أخواتي و اشترطت عليهن أن تكون هادئة لا

تجيد الفوضى ولا طويلة اللسان و وقع الاختيار على إحدى بنات القرية المجاورة لقريتنا و تمت مراسيم الزواج و عمَّت الفرحة أرجاء المنزل و سعدتُ كثيراً لأن في الزواج استقراراً لذاتي ، يا سيدي ماذا أقول لك كانت هذه بداية لنهايتي لم أتوقع أن تكون زوجتي بهذا الأسلوب البارد جدّاً فالثلج يذوب عندما يتعرض لأشعة الشمس لكنها عصيّة أن تذوب حتى لو أسكنّاها في تنور ... حاولت أن أستنطقها في أول يوم من زواجنا لكنها لم تنطق حاولت يميناً ويساراً و استخدمت كل الوسائل لكنها لا تتحدث كما أريد ولك أن تتخيل عندما أقول لها كيف حالك ؟ أضطر إلى الانتظار عشر دقائق حتى ترد بكل هدوء (... بخير) فأضطر أحياناً إلى مشاهدة التلفاز أو عمل كوب من الشاي وأعود إليها لأسمع صوتها وأتلذذ به .... أما يقولون إن صوت المرأة عورة أريد صوتها ليثيرني ، آاااه يا سيدي ماذا عساني أقول لك حتى في المعاشرة الزوجية أضطر إلى أن أسخنها ما يربو على ساعتين وأفهمها ما ينبغي فعله وبعد ذلك أتفاجأ أنها تخجل ، يا ربي رحماك قررت أن أتكلم لوالدتي و أخواتي لكنهن ماذا سيقلن ؟ هذا هو طلبي و اختياري .. حتى قررت أخيراً أن أستشير أحد أصدقائي الذي أخبرني أنَّ شفرة النساء هي الهدايا أغدق عليها الهدايا من الذهب و الكماليات الأخرى و فعلاً عزمت على الأمر ولم أعلم بما تخفيه هذه الهدايا و التي قرَّبتني إلى نهايتي .

في بدء الأمر اشتريتُ لها جوال جالكسي إس ٣ و فعلاً بدأ التغير يطرأ عليها تدريجيّاً و شعرت أنها تحمست قليلاً ولكنها ما زالت باردة ولم تصل إلى درجة الرغبة التي أطلبها ، في يوم من الأيام أخذتها معي إلى السوق وقلت لها اختاري ما تريدين و أول ما دخلت دكاناً لبيع الذهب و قلت في نفسي الله يعين .. اشتريت لها لعلها تتحدث معي عقداً قيمته ٧٠٠٠ ريال شعرت بالضغينة و الحسرة ولكن ما أطلبه يحتاج إلى مثل

هذه التضحية و كما أقول لك يا عزيزي إنها بعد شراء الذهب أخذت تتحدث معي بشكل أفضل من السابق لكني لم أستطع أن أقترب منها لأني أستغرق وقتاً طويلاً لكي أهيئها و كما تعلم أننا نحن معاشر الرجال لا نحتمل الوقت الطويل فالسيارة نملٌ من تسخينها فكيف بالمرأة ؟!!، و أخذت أنهال عليها بالهدايا التي طالت كل شيء من جوارب و أحذية و ملابس و لك أن تتخيل في كل مناسبة فستان يختلف عن سابقه و فعلاً بدأت تتحرك معي و بدأت تتحدث بشكل أفضل و للّه الحمد استطعت الاقتراب منها كما أريد .

بعد مضي ما يقارب ثلاثة أشهر بدأت الصواعق و عندما أصبحت تتحدث بطلاقة قالت ذات يوم إنها تريد أن تعمل عملية تجميل لأنفها ولم أجد مانعاً من ذلك خوفاً من أن تعود إلى ما كانت عليه و فعلاً ذهبنا إلى مركز تجميل و كلفني أنفها يا سيدي ٢٩٠٠٠ ريال ولا أعلم أي أنف هذا أنفها الذي كلَف كل هذا المبلغ .. و لك أن تتصور ماذا طلبت بعد ذلك ؟ طلبت مني يا سيدي شراء سيارة خاصة مع السوّاق لتذهب إلى أي مكان تريد لأني أحياناً أنشغل عنها و فعلاً اقترضت قرضاً من البنك واشتريت لها سيارة مع ملحقاتها و لكن يا سيدي تعبت من الحالة خوفاً من أن تعود إلى ما كانت عليه ... آاااه آاااه ماذا أقول لك بعد ذلك حتى عادت وطلبت أن أفتح لها مشغلاً نسائيّاً لتمارس فيه هوايتها و لم أرفض طلبها حتى اقترضت مبلغاً آخر من أحد الأصدقاء و قدره ١٥٠٠٠٠ ريال وفتحت لها مشغلاً مجهزاً بكامل التجهيزات و لم يستمر ستة شهور حتى قالت إنها تعبت ولا تريد المتابعة في المشروع لأنه غير مربح و اضطررت إلى بيع المشغل بخسارة كبيرة .. وبعد أن كثرت طلباتها و أصبحت أحققها الواحد تلو الآخر جاءت ذات يوم بطلبها الأخير الذي لم أحتمل سماعه فضلاً عن تحقيقه ... طلبت

مني أن أبني لها فيلا ضخمة يا سيدي تناسب مكانتها الاجتماعية لأنها تلبس آخر موديل من الملابس و الذهب و المجوهرات ولديها سائق خاص فمن غير المعقول أن تبقى في شقة كهذه ، ولم أجد نفسي إلا وقد رفعت صوتي عليها و قلت لها : يكفي يا حرمة خلاص يكفي والله تعبت و كل هذا مشان تتكلمي معاي و الله لو أدري أنك لو تكلمتي بتطلبي كل هالأشياء ما خليتك تتكلمي خسرتيني حرام عليك حسي فيني كل يوم طلب وكل يوم هدية ، البنك و الناس تلحقني بفلوس ولا أعرف أسددها والله ارحميني حرام عليك .. حتى رأيتها سكتت فجأة وكأنها صخرة صلدة ولم تبادرني بأي كلمة و عادت إلى حالتها السابقة وكأني لم أقدم لها شيئاً حتى شعرتُ بنخزات في قلبي وكأنه صُعق بالكهرباء ووقعت على الأرض أتألم ولك أن تتخيل أنها لم تتحرك لترى ما جرى لي و غضبت لذلك غضباً شديداً حتى تقلصت عضلات قلبي و لم أستطع أن أتنفس وهي لم تتحرك وبدأت أصرخ من أعماقي لعلها تنقذني وفي تلك اللحظات حلّ الظلام فجأة ولم أشعر بوجودي إلّا في القبر وكنت في ميدان الحساب حتى جئت وطلبت مقابلتي .

بعدها نزل فجأة إلى القبر و كأن الوقت المخصص له انتهى و قمت عن القبر وقلت في نفسي لن أعود هنا مرةً أخرى خوفاً أن أسمع قصصاً مثلها أو أقسى منها.

المحتويات

إهداء	٧
تقديم	٩
مقدمة	١١
اللحظة ... الخائنة	١٣
الوردة الجديدة	٢١
الحب المنجلي	٣٣
الاختبار الأصعب	٤١
الصداقة اليتيمة	٤٧
دكتور على الطلب	٥٥
فقير سيئ الحظ	٦١
مغامرة في الهند	٧١
الحلم الجنائي	٧٧
ثانوية بنات ... ؟	٨٧
لله أشكو كآبتي	٩١
عامل سعودي	٩٧
انتظار	١٠٧
امرأة نادمة	١١٥
وطننا واحد وكلنا واحد	١٢٧
قتلتني زوجتي	١٣٧